تفسير آية النور

مؤلّف:

صدرالمتألّهين

محمدبن ابراهيم صدرالدين الشيرازى

(۹۷۹-۱۰۵۰ هـ.ق)

تحقيق:

محسن بيدار

مقدّمه

صدر الدین محمد بن ابراهیم بن یحیی شیرازی (معروف به ملا صدرا یا صدر المتالهین) در سال ۹۷۹ هـ. ق. در شیراز متولد شد[۱] ملاصدرا در شیراز به تحصیل علم پرداخت سپس به اصفهان مسافرت کرد و از اساتیدی چون شیخ بهائی و میر داماد بهره برد. او بعد از تحصیل علم در اصفهان راهی قم شد و در کهک قم به مدت ۷سال سکونت گزید و همزمان با تحقیق و تالیف و تدریس به عبادت و ریاضت روحی پرداخت. الله وردی خان که از سال ۱۰۰۳ تا ۱۰۲۱ هـ. ق. حاکم فارس بود در شیراز مدرسه ای برای ملاصدرا ساخت و او را به شیراز دعوت کرد و سرانجام این حکیم و دانشمند بزرگ به شیراز رفت و تا آخر عمر به تدریس و تالیف مشغول شد.

ملاصدرا در سال ۱۰۵۰ هـ. ق. زمانی که عازم سفر حج بود در بصره از دنیا رفت. او دارای یک پسر به نام میرزا ابراهیم و دو دختر دانشمند بود. میرزا ابراهیم خود از فضلاء و فرهیختگان به شمار می‌رفت. از میرزا ابراهیم کتاب تفسیر عروةالوثقی و حاشیه بر شرح لمعه به یادگار مانده است. میرزا ابراهیم در سال ۱۰۷۰ در زمان شاه عباس دوم درگذشت. همچنین ملاصدرا دو داماد دانشمند به نامهای ملامحسن کاشانی (ملقب به فیض) و ملا عبدالرزاق لاهیجی (ملقب به فیّاض) دارد که از شاگردان برجسته او و دارای تألیفات گران سنگی هستند. فیض صاحب کتاب وافی و تفسیر صافی به سال ۱۰۹۱ هـ. ق. درگذشت و فیّاض مؤلّف کتاب شوارق در شرح کتاب التجرید درسال ۱۰۷۱ هـ. ق.

صدر المتالهین فیلسوف معروفی است که روش فلسفی او به حکمت متعالیه شهرت

---

۱. در بیشتر کتابها تولد او را ۹۷۹ نوشته‌اند و در کتاب صدرالدین شیرازی تألیف هانری کوربن با ترجمه ذبیح الله منصوری[ص۹، چاپ دوم]تاریخ تولد را نهم جمادی الاولی سال ۹۸۰هـ. ق. ذکر می‌کند.

دارد . او دارای کتابهای بسیاری است که برخی از آنها عبارتند از :

۱ـ الأسفار الأربعة=الحمكة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية (۹ مجلد)

۲ـ تفسیر بخشی از سوره آیات قرآن که در ۷مجلد چاپ شده است و تفسیر آیةالکرسی و آیه نور نیز جزو آنها است .

۳ . تعلیقات الشفا

۴ . تعلیقات شرح حكمة الإشراق

۵ . الشواهد الربوبية

۶ . شرح الهداية

۷ . المشاعر

۸ . اللمعات المشرقية في المباحث المنطية

۹ . المبدأ و المعاد

۱۰ . مفاتيح الغيب

۱۱ . شرح اصول الكافی [۱]

رساله حاضر

این رساله تفسیر آیه نور به قلم ملاصدرا می باشد که در جلد چهارم تفسیر القرآن الکریم او با تحقیق محقّق و اندیشمند محترم آقای محسن بیدار چاپ شده است . لکن به جهت اهمیّت آن و جمع آوری نظرات و رساله های مهمّ در مورد آیه ، اقدام به چاپ آ ن شد .

ما برای تقویم نصّ ابتداء نسخه چاپی آن را با نسخه خطی که به خط مولف می باشد و اصل آ ن در کتابخانه آیة الله مرعشی در قم موجود است مقابله کردیم سپس اقوال و احادیثی که در چاپ قبل مدرک آنها نیامده بود جستجو کردیم . امید است مقبول در گاه احدیت قرار گیرد . والسلام

آفاق نور

۱ . ر . ک : صدرالدین شیرازی ، همان؛ ریحانة الأدب ، ج ۴ ، ص ۴۶۷ ؛ فوائد الرضویّة ، ص ۲۱۳ ؛ لولو ةالبحرین ، ص ۱۳۱ ؛ روضات الجنات ، ج ۴ ، ص ۱۲۰ ؛ مستدرک الوسائل ، ج ۳ ، ص ۴۰۴ ، چاپ قدیم ؛ مقدمه تفسیر القرآن الکریم ، ج ۱ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواهب العقل والخير والجود، والصلاة والسلام على نقطة دائرة الوجود، و نكتة سرّ الله فى كلّ موجود، المقصود أوّلاً، المبعوث آخراً، كان مشكوراً، ولأنعم الله شاكراً، محمّد سيّد أوليائه الذي ختم به ديوان الرسالة، وتمّم به بنيان النبوّة، وشيّد بوجوده مباني المجد وقواعد الفتوّة، وعلى عترته المطهّرين وأهل بيته المتخلّصين عن أدناس البشريّة الملتحفين بأرديةالمعارف الالهيّة أفضل الصلوات و أكمل التسليمات.

وبعد: فيقول الملتجي إلى باب ربّه الكريم، محمّد المشتهر بصدر الدين بن إبراهيم: إنّ هذه نكات متعلّقة بتفسير آية النور الذي قد ابتسم عن بديع ألفاظه فم الأيّام، وانشرح بحسن نظمه صدر الأنام، تبيّن الرشد بتبيانه، وتبلّج الحقّ من بيانه، فحقيق أن يصرف العمر فى اقتباس لوايح أنواره واقتناص شوارد أسراره، ولا بعد في أن يطّلع أحد على ما لا يطّلع عليه غيره، ولكلّ نفس طالبة قسط من نور الله قلّ أو كثر، ولكلّ قلب منكسر حظّ من سرّ الله بطن أو ظهر، فسنح للخاطر الذي خطرت فيه خطرات البلايا، وظهر على خدّه أثر من وقع عليه الرزايا، حمداً لربّي وذمّاً للزمان وصبراً على الهموم والأحزان، وفرقة للأحباء والإخوان.

قد كنت أشفق من دمعي على بصري ... فاليوم كلّ عزيز بعدهم هانا[1]

فشمّرت عن ساق الجدّ والاجتهاد، وسعيت بكميش الإزار[2] لنيل هذاالمراد على ما أنا فيه من قلّة ا لبضاعة وقصر الباع، والقصور في البضاعة وعدم المتاع، وما أرى عليه الزمان من رثاثة حاله وركاكة رجاله، مع أنّ لي قلباً قد نجّدته الدهور وشوّشته الأمور، ومسّته مضض العناء، واعتراه شدّة اللأواء.

---

١. يتيمة الدهر، ج١، ص١٨٩.

٢. كميش الإزار: أي مشمرة. مثل في الجدّ و التشمير.

إن كـان لي يازمـان بقـية ممّا تسوء به الكرام فهاتها[1]

فشرعت فيه سائلاً من الله حسن التوفيق، و بيده أزمّة الفوز بالتحقيق.

قوله عزّ اسمه:

﴿اللّه نور السموات و الأرض مثل نوره كمشكوة فيهامصباح المصباح في زجاجة الزّجاجة كأنّها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقيّة و لا غربيّة يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نورعلى نور يهدي الله لنوره من يشاء و يضرب الله الأمثال للناس و الله بكلّ شيء عليم﴾

تمهيد

الإشارة في تحقيق هذه الآيةيتمهّد بأنّ لفظ النور ليس موضوعًا كما فهمه المحجوبون من علماء اللسان و أصحاب الكلام، للعرض الذى يقوم بالأجسام، وهو الذي عرّفوه بأنّه«لا بقاء له زمانين»،[2] وهومن الحوادث الناقصة الوجود، بل هذا النور أحد أسماء الله ـ تعالى ـ وهو منّور الأنوار ومحقّق الحقائق و مظهرالهويّات و موجد الماهيّات.

ومطلق «النّور» يحمل عند الجمهور على معاني كثيرة، بعضها بالاشتراك وبعضها بالحقيقة والمجاز، كنور الشمس، ونور القمر، ونور السراج، ونورالعقل، ونورالإيمان، و نور التقوى، و نور الياقوت، و نور الذهب، ونورالفيروزج.

وأمّا عند الإشراقيّن ومن تبعهم كالشيخ المقتول، شهاب الدين، ـ الكاشف لرموزهم و المخرج لكنوزهم والمدّون لعلومهم، والمبيّن لفهومهم، والمبرّز لمقاماتهم، والشارح لإشاراتهم ـ فهو حقيقة بسيطة ظاهرة لذاتها، مظهرة لغيرها، فعلى هذا يجب أن لا يكون لها جنس و لا فصل، لعدم تركّبها عن الأجزاء، فلا لها معرّف حدّي، ولا لها كاشف رسميّ، لعدم خفائها في نفسها، بل هي أظهر الأشياء، لكونها مقابلة مع الظلمة والخفاتقابل السلب والإيجاب، فلا برهان عليه، بل هو البرهان على كلّ شيء.[3]

---

١. الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٤٧وفيه«ممّا تهين به الكرام».

٢. تمهيدات عين القضاة، ص٢٥٥، تمهيد اصل عاشر(٢٥٤-٣٥٤)، طبع الثاني في طهران(انتشارات منوچهرى)مع تحقيق و تصحيح عفيف عُسيران، استنداالمؤلّف إلى منقولاته في موارد متعدّدة.

٣. راجع مجموعهٔ مصنّفات شيخ الإشراق، ج٢، ص١٠٦ و مابعدها، القسم الثاني في الأنوار الإلهية.

لكنّ الخفاء والحجاب إنّما يطرءان لها بحسب المراتب، كمرتبة النّور القيّوميّ، لغاية ظهورها و بروزها، فإنّ شدّة الظهور وغلبة التجلّي ربّما صارتا منشأي الخفاء للمتجلّي لفرط الظهور على المتجلّى له لغاية القصور، كما يشاهد من حال عيون الخفافيش عند تجلّي النور الشديد الحسّي الشمسي على أحداقها، فإذا كان الحال هكذا في النور المحسوس، فما ظنّک بالنور العقلي البالغ حدّ النهاية في الشدّة والقوّة.

وكان النور عند أكابر الصوفيّة أيضًا عبارة عن هذا المعنى كما يستفاد من مصنّفاتهم ومرموزاتهم[1] إلّا أنّ الفرق بين مذهبهم ومذهب الحكماء الإشراقيّين أنّ النور وإن كان عند أولئک الأكابر حقيقة بسيطة إلّا أنّها ممّا يعرض لها بحسب ذاتها التفاوت بالشدّة والضعف، والتعدّد والكثرة بحسب الهيئات والتشخّصات، والاختلاف بالواجبيّة والإمكانيّة، و الجوهريّة والعرضيّة، والغنى والافتقار.

وأمّا عند هؤلاء الأعلام من الكرام، فلا تعرض لها في حدّ ذاتها هذه الأحكام، بل بحسب تجليّاتها وتعيّناتها وشؤناتها واعتباراتها، فالحقيقة واحدة والتعدّد إنّما يعرض بحسب اختلاف المظاهر والمرائي والقوابل، ولا يبعد أن يكون الاختلاف بين المذهبين راجعاً إلى التفاوت في الاصطلاحات وأنحاء الإشارات، والتفنّن في التصريح والتعريض منهم، والإجمال والتفصيل مع الاتفاق بينهم في الدعائم والأصول.

وما ذكره الشيخ محمّد الغزالي في مشكوة الأنوار موافق أيضًا لقول أئمّة الحكمة وهو قوله: «النور عبارة عمّا به يظهر الأشياء».[2]

تذكرة تفصيليّة

إنّ لقوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ وجوهًا كثيرة من المعنى:

الأوّل: ما ذكره أكثر مفسّري الإسلام وعلماء العربيّة والكلام، ومستندهم قرائة أميرالمؤمنين عليه السلام[3] حيث روي أنّه قرأ ﴿**الله نوّر السما وات والأرض**﴾ـ بصيغة الماضي ـ يعني: ذو نور السما وات، وصاحب نور السماوات على مجاز الحذف، أو الحقّ نوّرهما على سبيل التشبيه.

---

١. راجع نقد النصوص في شرح نقش الفصوص، ص١٧٧ و مابعدها، فص حكمة نوريّة في كلمة يوسفيّة.

٢. مشكاة الأنوار، ص١٤٢، خاتمة، وفيه «النور عبادة عمّا ينكشف به الأشياء». طبع مصر.

٣. الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي، ج٧، ص١٠١.

قال صاحب *الكشاف* :

«شبّهه بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى : ﴿**الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[1] أي : من الباطل إلى الحقّ، وأضاف النّور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين : إمّا للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضائته حتّى تضيء له السماوات والأرض، وإمّا أن يراد « أهل السماوات والأرض» وإنّهم يستضيئون به...»[2]

فعلى هذا يكون معنى قرائة صيغة الماضي : أنّ الله نشر الحقّ وبسطه في السماوات والأرض، أو نوّر قلوب أهلهما بنور الحقّ.

وفي هذا الوجه يكون المراد من ﴿**مثل نوره**﴾ صفة الحقّ العجيبة الشأن التي بثّها الله في العالم، وهدَى الخلق بها إلى طريق الخير، ويكون التشبيهات التي وقعت بـ «المشكاة» و«المصباح» و« الزجاجة » و« الزيت » كلّها لإثبات ظهور صفة الحقّ ووضوحها، و كأنّه قيل : الحقّ الذي به هدينا الناس كنور في سراج اشتعل مصباحه بزيت صاف، كان في قنديل زجاجيّ شفاف في غاية اللطافة، بحيث يكون في لطافته وزهرته شبيهاً بأحد الدراري المشهورة، كالمشتري والزهرة، وكانت الزجاجة في كوّة غائرة في جدار غير نافذة حتّى لا ينشر نور المصباح، فلا محالة يكون النور في غاية الإضائة والظهور، فكذلك الحقّ المُنبثّ في العالم المنتشر في الخلائق.

ولا يبعد أن يراد بالنور في هذا الوجه القرآن؛ لأنّه مبيّن الحقّ، يعني هدى الله الخلق بكلامه المتين الذي هو حقّ مبين، وقد سمّاه الله «نوراً» حيث قال : ﴿**و أنزلنا إليكم نوراً مبينًا**﴾؛[3] لأنّ القرآن مظهر نور الحقّ والعرفان، ومنوّر قلوب أهل الإيمان، فيكون الحقّ نوراً والقرآن مثله، وقد شبّه بـ«المصباح»، فالمصباح كلام الله، و«الزجاجة» قلب العارف بأنوار معانيه، و«المشكاة» صدره، و«زيته» إمداد الفيض الإلهي الحاصل من الشجرة المباركة النبويّة والنشأة المقدّسة المصطفويّة، التي لكمال اعتدالها وجامعيّتها للنشأتين و تجرّدها عن العالمين، غير مخصوصة بشرق عالم الأرواح ولا بغرب عالم الأشباح، بل جامعة للطرفين ومرتفعة عن الأفقين، وإمداده وتنويره للقلوب بحيث يكاد أن ينوّرها ويكمّلها قبل

---

١. البقره(٢) : ٢٥٧.

٢. الكشاف، ج٣، ص٢٤٠.

٣. النساء (٤) : ٧٧.

أن يستنبطوا المعارف من الكتاب بدقّة عقولهم ويقتبسوا أنوار العلوم من مشكاة صدور المعلّمين والمذكّرين، فلغاية بسط فيض الحقّ وشدة إنارته لقلوب السالكين والمجذوبين، ينوّر قلوبهم ويضيء أرواحهم وإن لم تمسسه نار التعليم البشري، أو نار الذهن المتوقّدمن زند الطبع الزكيّ ومقدحة الفكر.

الوجه الثاني: ما يوافق طريقة قدماء الصوفيّة وأئمّة السلوک والتصفية، وهو المفهوم من فحوى الآية الكريمة، ومستندهم قرائة عبدالله بن مسعود كما ذكره الواحدي في الوسيط رواية عنه أنّه قرأ: «الله نور السموات والأرض مثل نوره في قلب المؤمن».[1]

وعلى هذا الوجه يكون المراد من النور المذكور ما روي عن النبيّ ﷺ:

«أنّه لمّا نزلت آية: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه**﴾؛[2] و سئل عنه ﷺ: مامعنى هذا النور؟ فقال: إنّ النور إذا قذف[3] في قلب المؤمن انشرح له الصدر و انفسح. قيل: فهل لذلک من علامة. قال نعم التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله».[4]

فعلى هذا شبّه الله نور قلب المؤمن بمصباح؛ لأنّ المصباح قد حصل واستنار من نور آخر، فكذا هذا النور قذف في قلبه وحصل واستنار من النور المطلق الإلٰهي والوجود القيّومي، والقلب بمنزلة المشكاة، والأحوال والمقامات الواردة فيه بإلهام الله المحصّلة الممدّة لهذا النور بمنزلة الزيت، والأعمال والمعاملات الكثيرة البركات بمنزلة الشجرة المباركة، ولكونها حاصلة بين شرق القلب و غرب البدن غير مختصّة بأحدهما لا بالقلب كالعلوم العقليّة المحضة، ولا بالبدن كالأفعال الشهويّة والغضبيّة، فلا يكون شرقيّة و لاغربيّة، والروح النفساني بمثابة الزجاجة.

فيكون نظم الآية على هذا الوجه: مثل نور هداية الله في قلب المؤمن كمصباح واقع في زجاجة روحه النفساني الواقع في مشكاة قلبه، يضيء المصباح من زيت الأحوال و المقامات التي تكاد تضيء في باطن وجود السالک، وإن لم تمسسه نار التجلّي، وهي منبعثة من شجرة الأعمال الصالحة المباركة، وهذا النور الأخير الذي هو نتيجة الأعمال الصالحة

---

١. تفسير السمعاني، ج٣، ص٥٢٩؛ تفسيرالنسفي، ج٣، ص١٤٨؛ تفسيرالقرطبي، ج١٢، ص٢٦٠، ولكن لم نجده في الوسيط.
٢. الزمر(٣٩): ٢٢.
٣. في بعض المصادر؛ نزل، وقع. دخل
٤. جامع البيان لابن جرير الطبري، ج٨، ص٣٥؛ تفسير الثعلبي، ج٢، ص٥١٥؛ الدر المنثور، ج٥، ص٣٢٥.

وميراث المعاملات الخالصة مضاعف من النور الأوّل الذي نور الهداية الواقع في البداية الداعي إلى العبوديّة والطاعة، فإذا ضمّ نور النهاية إلى نور البداية يكون نوراً على نور.

الوجه الثالث: ما ذكره متأخّروا الصوفيّة موافقاً لأصحاب المكاشفات وأرباب الأذواق و الإشراقات، وهو مبني على قواعد الإشراقيّين و حكماء الفرس والأقدميّن، ويطابقه الحديث النبوي ﷺ حكاية عن معراجه حيث سئل عن «الرؤية» فقال: «نورأنّي أراه»[1] أي هو ـ تعالى ـ نور فيمتنع تعلّق الرؤية به ـ تعالى ـ، فأطلق النور عليه ـ تعالى.

وقد أشرنا إلى تحقيق مذهبهم في النور[2] وتوضيحه: أنّ النور المحسوس إنّما يطلق عليه هذا اللفظ لكونه ظاهراً بذاته ومظهراً لغيره، وأمّا خصوص كونه محسوساً بالحسّ البصري وكونه مظهراً للمبصرات فلا مدخليّة له فيما يوضع له لفظ «النور»، فليس نفس النور المحسوس معنى هذا اللفظ ومفهومه؛ بل هو أحد موضوعات هذا اللّفظ، حتّى أنّه لو وجد في هذا العالم شيء آخر له هذه الخاصيّة يطلق عليه اللّفظ، ونظيره ما ذكر في معنى الميزان من أنّ معناه «ما يتّزن به الشيء»، سواء كان له عمود وكفّتان أم لا، لكن غلب استعماله في هذا العالم على ما له عمود وكفّتان.

فعلى ذلك يكون إطلاق «النور» عليه ـ تعالى ـ من جهة أنّه مصداق معناه وموضوع مسمّاه؛ لأنّ ذاته ظاهر بذاته مظهر لغيره مطلقاً، ولهذا اصطلح الإشراقيّون على إطلاق نور الأنوار عليه ـ تعالى.

و«النور» مع أنّه أمر ذاتي غير خارج عن ذوات الأنوار المجرّدة الواجبيّة والعقليّة و النفسيّة، إلّا أنّه متفاوت في الكمال والنقص، متدرّج في الشدة والضّعف، وإطلاقه على الذوات النوريّة على سبيل التشكيك، إذ لم يقم برهان على استحالة كون الذاتي مقولاً على أفراده بالتشكيك، وهكذا حقيقة النور لها مراتب متفاوتة في القوّة والضعف، والكمال و النقص، وغاية كماله النور الإلٰهي وهو النور الغنيّ، ثمّ الأنوار العالية المنقسمة إلى العقليّة والنفسيّة، ثمّ الأنوار السافلة المنقسمة إلى الأنوار الكوكبيّة والعنصريّة.

---

١. مسند أحمد، ج٥، ص١٥٧ـ ١٧١؛ صحيح مسلم، ج١، ص١١١؛ الجامع الصحيح للترمذي، ج٥، ص٣٩٦، كتاب التفسير سورة النجم.

٢. راجع تفسير القرآن للمؤلّف، ج٢، ص١٠ في ذيل آية ١٧ من سورة البقرة؛ و الأسفارالأربعة، ج٤، ص٨٨ـ٩٧، فصل٢٤ ـ٢٦، في النور المحسوس، و حقيقة النور واقسامه، و الفرق بين الضوء و النور...؛ وراجع أيضاً الطبيعيّات من الشفاء، قسم النفس، ص٧٩ومابعدها، المقالة الثالثة في الإبصار.

والحقّ أنّ حقيقة النوروالوجود شيء واحد، ووجود كلّ شيء هو ظهوره، فعلى هذا يكون وجود الأجسام أيضاً من مراتب النور لكنّ الإشراقيّين زعموا أنّ الأجسام غير ظاهرة بذواتها بل بالنورالمحسوس العارض، ولعلّ السرّ فيه أنّ الموجود من الأجسام هو خصوصيّات صورها النوعيّة ونفوسها وهيئاتها التي هي من باب الوجود والنوريّة، دون موادّها وكمّياتها التي هي كظلال ممدودة لا وجود لها تأمّل فيه وسيأتيک مزيد توضيح، وتحقيق هذه المباحث يحتاج إلى مجال أوسع ولا يعلمها إلّا البارعون في الحكمتين مع زوائد ألهمهم الله بها.

فعلى هذه القواعد، يكون معنى قوله: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ بمنزلة معنى قولهم: «نور الأنوار» و«وجود الوجودات» لما علمت أنّ حقيقة كلّ شيء هو وجوده الذي هونوريّته، فـ«زيد» مثلاً في الحقيقة هو وجوده الخاصّ و نور هويّته الذي به يكون ظاهراً بذاته مظهراً لغيره.

لا يقال: إنّه كيف يكون النور الممكني ظاهراً بذاته، مع أنّه يحتاج في وجوده إلى موجد يفيد له الوجود والنوريّة؟

لأنّا نقول: على قاعدة الإشراقيين تكون الأنوار الجوهريّة والعرضيّة مجعولة بالجعل البسيط الإبداعي، فالجاعل لا يجعل «النور» نوراً عندهم ولا يفيد النوريّة لما ليس بحسب جوهره وذاته نوراً؛ بل يفيد نفس الأنوار وينشئها، فقولنا: «زيد موجود» عندهم بمنزلة قولنا: «زيد زيد» في أنّ القضيّة ضروريّة، إلّا أنّ الفرق بينه وبين قولنا: «الواجب موجود» أنّ هذه ضرورة أزليّة وهي ضرورة ذاتيّة، وبين الضرورتين قد بيّن الفرق في علم الميزان. و الإمكان في الوجودات معناه سلب الضرورة الأزليّة لا سلب الضرورة الذاتيّة، فلا ينافي هذه الضرورة الافتقار إلى العلّة الجاعلة.

وبالجملة، فالسماوات والأرض، عبارة عن وجوداتها الخاصّة وأنوارها المتعيّنة؛ فهي بالحقيقة أنوار متفاوتة المراتب، والله ـ تعالى ـ أشدّ مراتب النور وأجلّ درجاتها، فيكون نور السماوات والأرض بمنزلة نور الأنوار وفلک الأفلاک.

وإذا سيق الكلام على طورهم يكون المشبّه بـ«المصباح» هو النور المتجلّي على جميع الحقائق إلإمكانية، وبـ«المشكاة» هي الماهيّات السفليّة، وبـ«الزجاجة» الماهيّات العلويّة، وبـ«الزيت» النفس الرحماني الذي هو الوجود المنبسط من الحقّ على الخلق، والضوء

الفائض منه على قوالب الأشياء وهياكل الأرض والسماء في سلسلة البدو الإبداعي المسمّى بـ«الفيض الأقدس» ، وبـ«الشجرة المباركةالوجود» والنور الفائض منه على المركبّات و الممتزجات حسب أوعية القابليّات و قامة الاستعدادات في سلسلة الرجوع الاستعدادي المسمّى بـ«الفيض المقدّس» ، ووجه شَبَهِه[تشبيهه . ظ] بالشجرة واضح ؛ لأنّه ذو شعب و جهات مختلفة ، وشجون وأفنان متكثّرة ، وهذا الفيض غير مختصّ بشرق الأحديّة المحضة ، ولا بغرب الأعيان والماهيّات .

فنظم الآية على هذا الوجه : صفة نور الوجود الفائض من نور الأنوار والموجود الحقيقي الفائض على الممكنات كمصباح مشتعل في زجاجة حقائق الأرواح العاليّة والجواهرالنوريّة العقليّة التي يتنّور به مشكاة الجواهر السفليّة والبرازخ الجسميّة ، واشتعال ذلک المصباح من زيت النفس الرحماني المنبسط على مراتب الموجودات ، وهو لغاية لطافته و قربه بمنبع الخيروالجود ومعدن النور والوجود ، يكاد يفيض الوجود والنورية على الأشياء ، و إن لم تمسسه نار الفيض الأقدس والمقدّس .

والزيت المتوقّد من شجرة مباركة هي الفيض المقدّس الغير المختص بشرق الأحديّة ، ولا بغرب الأعيان ، وهذا النور المتجلّي على حقائق الأشياء«**نور على نور**» ؛ لأنّه نورعال واجبي مفيض للنور السافل الممكني ، ﴿**يهدي الله لنوره**﴾أي لتجلّي وجوده القيّومي من يشاء ، فيتجلّى له ويخرجه من ظلمة العدم البحت إلى نور الوجود الصرف .

وللآية وجوه نفيسة أخر ، سيرد عليک بيانه ـ إن شاء الله ـ عند تحقيق معاني ألفاظها مفصّلة ، فانتظرها مقتبساً لأنوارها ، مجتنياً لثمارها .

پژوہشگاه علوم انسانی و مطالعات فرہنگی
پرتال جامع علوم انسانی

تفريع

فعلى الوجهين الأخيرين من هذه الوجوه الثلاثة لا يكون إطلاق النور على الواجب ـ تعالى ـ على سبيل التجوّز والتشبيه كما ذكره متكلّمواالاسلاميين وجمهور المفسّرين من أنّه شبّه الحقّ بالنور ، [1]أو أريد بالنور هاهناالمنوّر . [2]على أنّهم لو تفطّنوا بمعنى هذا المشتقّ لحكموا أنّ كونه ـ تعالى ـ منوّراً بالحقيقة ممّا يستلزم كونه نوراً بالحقيقة ، وذلک

١ . الكشاف ، ج٣ ، ص٢٤٠ .
٢ . روح المعاني ، ج١٨ ، ص١٦٤ .

لأنّ كلّ فاعل بالذات لمعنى كمالي وجودي لابدّ و أن يوجد فيه ذلک المعنى الكمالي، إذ المعطي للكمال لا يكون قاصراً عنه كما حكم به الوجدان وطابقه البرهان فإذا وجد فيه معنى النور، فإمّا أن يكون عين ذاته أو زائدًا على ذاته. والثاني يوجب افتقاره ـ تعالى ـ إلى سبب يفيض عليه معنى النور؛ لأنّ الاتصاف بمعنى زائدإنّما يكون بجهة القبول والاستفادة، و هو غير جهة الإيجاد والإفادة، فلو كان ذاته منوّراً لذاته لزم أن يكون ذاته قابلاً وفاعلاً فلايكون بسيطًا حقيقيّاً. وقد ثبت بساطته وأحديّته وتقدّسه عن شوائب التركيب كلّها وهذا خلف.

وأيضاً يلزم أن يكون ذاته أنور من ذاته وهو محال. وإن كان مبدأ نورانيّته غير ذاته، وغير ذاته يكون ممكناً من الممكنات، فيلزم افتقار الواجب إلى الممكن في صفة كماليّة.

ومَن أنكر كون النّور كمالاً للموجود بما هو موجود، فليداو عقله إن كان متوقفاً، وإن كان مكابراً. فالله يجزيه جهنّم خالدًا فيها. على أنّ من تأمّل، علم أنّ الوجود والنور متحدان في المعنى والحقيقة، متغايران في اللفظ، ولاشكّ أنّ الوجود خير وكمال لكلّ موجود من حيث هو موجود، والواجب بحت الوجود، فيكون محض النور. فقد ثبت وتحقّق أنّ النور نفس حقيقة الواجب الوجود ـ جلّ مجده ـ.

فصل
[في معنى إضافة النور إلى السماوات و الأرض]

وأمّا معنى إضافته إلى السماوات والأرض فهو بمنزلة قولک: «نور الأنوار» و«وجود الوجودات»، فإنّ وجود كلّ شيء عبارة عن نور به يظهر ماهيّة ذلک الشيء وذاته، فالله منشئ الأنوار بنفس ذاته النوريّة وجاعلها جعلاً بسيطاً، مفاده ترتّب ذات المجعول وهويّته على ذات الجاعل وهوّيته التي هي عين إنيّته، فعلى هذا كما أنّ ذاته موجد الموجودات، فكذلک مشيّء الأشياء ومذوّت الذوات.

ثمّ لمّا كان ذاته موجد ذات كلّ ممكن ليست إلّاوجودًا خاصًا به يوجد الماهيّة وبه يطرد العدم عنها ويتّصف بالموجوديّة المصدريّة عند العقل ـ لما حقّق في مظانّه ـ أنّ المتأصّل في التحقّق هو وجود كلّ شيء الذي هو حقيقته، والماهيّة حالة انتزاعيّة عقليّة، منصبغة بصبغ الوجود، منوّرة بنوره، فموجد الأشياء بالحقيقة موجد لوجوداتها أي منشأها وجاعلها إنشاءً بسيطاً وجعلاً مقدّساً عن التركيب غير مستدع لأمرين: مجعول ومجعول إليه.

ثمّ إذا كانت موجوديّة الأشياء ـ كما علمت ـ ليست باتّصاف الماهيّة بالوجود، بل بإبداع المبدأ ـ تعالى ـ وجوداتها، وتأييسه إيّاها ـ على النحو الذي مرّ ذكره ـ، فيكون الله ـ تعالى ـ وجود الوجودات، فإذا كان الله وجود الوجودات فلايكون للموجودات تحصّل إلّا به، ولاهويّة لها إلّابهويّته.

ثمّ ليست هويّة الباري متقوّمة بها وإلّا لزم الدور وافتقار الواجب إلى الممكن، وكلاهما محالان، فيكون الموجود بالحقيقة هو الحقّ ـ تعالى ـ لا غير، ويكون موجوديّة غيره باعتبار أخذها معه، فيكون من قبيل الأظلال والأشباح التي يترائى في المرائى الصقيلة بتبعيّة الشخص الخارجي، فالماهيّات كلّها بمنزلة المرائى التي يترائى فيها صورة الوجود الحقيقي لعدميّتها كعدميّة لون المرآة.

ولهذا المعنى قال الحلاج: «الله مصدر الموجودات».[1] وقال بعضهم: «الله وجود السماوات والأرض».[2] وإليه يرجع قول الشبلي: «ما في الجنّة أحد سوى الله ـ تعالى».[3] وكأنّه أراد بالجنة هاهنا الوجود المتأصّل الحقيقي؛ لأنّه الخير المحض يؤثر ـ عند الكلّ، وإليه يشير قول أبي العباس: «ليس في الدارين إلّاربّي، وأنّ الموجودات كلّها معدومة إلا وجوده تعالى».[4]

ويؤيّد ذلک قول أميرالمؤمنين وإمام الموحّدين عليه السلام: «لا أعبد ربّاً لم أره».[5] ويقوي ذلک قول خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: «لا راحة للمؤمن من دون لقاء الله».[6]

حكمة عرشية

كما أنّ الموجود حسبما قرع سمعک في الحكمة المشهورة إمّا جوهر وإمّا عرض، وهما الجوهر والعرض المشهوران؛ فاعلم أنّ في الوجود جوهراً وعرضاً حقيقيين غيرذينک المشهورين، فإنّ ذينک المفهومين من أقسام الماهيّات والأعيان الثابتة التي ما شمّت رائحة

---

١. تمهيدات، ص٢٥٧.
٢. نفس المصدر.
٣. نفس المصدر، ص٢٥٦.
٤. نفس المصدر.
٥. نفس المصدر، ص٢٥٧؛ والكافي، ج١، ص٩٨، ح٦ وص١٣٨، ح٤، في موضعين «ما كنت أعبد ربّاً لم أره»؛ الاختصاص، ص٢٣٦.
٦. الهمّ والحزن لابن أبي الدنيا، ص٦٥؛ كشف الخفاء، ج٢، ص١٧٣، ح٢١٥٤.

الوجود،[1] وهذان من أقسام الوجود.

فـ«الجوهر» بحسب المشهور ماهيّة غير الوجود حقّها في أن يكون موجودة ـ أي متّحدةً مع مفهوم الموجود العقلي الذي من المفهومات العامّة الشاملة ـ أن لا يكون في موضوع، أي معناه ليس نعتاً لمعنى آخر، و«العرض» هو الماهيّة التي تكون بحسب وجودها العيني وعند موجوديّتها العينية نعتاً لشيء آخر، فهما مفهومان عامّان وموضوعاهما ماهيّتان عقليّتان.

وأمّا الجوهر والعرض الحقيقيّتان: فـ«الجوهرالحقيقي» هوالموجود المستقلّ الذي هو بذاته وهويّته موجود وواجب لذاته من غير علاقةإلى شيء آخر في كونه هوهو، وهوالله ـتعالى. والعرض الحقيقي هو الذى يكون بحسب ذاته وهويّته متعلّقاً بغيره ومفتقراً في تجوهره إلى غيره، ويكون تجوهره وتذوّته بغيره، فلا يكون في نفسه مع قطع النظر عن ما يقوم به متصوّراً فضلاً عن أن يكون موجودًا، فذاته عبارة عن المتقوّم بالغير لا أنّ له معنى يكون ذلك المعنى ممّا يوصف بالافتقار إلى الغير مطلقاً موضوعاً كان ـ كما في العرض بالمعنى المشهورـ أومادّة ـ كما في الصورة الجوهريّة بالمعنى الأوّل ـ أو صورة ـ كما في المادّة ـ أو هما جميعاً ـ كما في المركّب منهما ـ أو فاعلاً أو غايةً ـ كما في سائر الأقسام ـ فالواجب ـ جلّ ذكره ـ جوهر بهذا المعنى حقيقةً وإن لم يطلق عليه إسمه تسميةً بحسب التوقيف، حيث لم يرد إطلاق هذا اللفظ عليه ـ تعالى ـ في الشرع الأنور، وهو مفاد ما ذكرناه من المعنى وإن كان بعبارة أخرى.

والعرض بالمعنى الحقيقي الذى ذكرناه هو وجودات الممكنات كلّها سواء كان الممكن بحسب الماهيّة جوهراً بالمعنى المشهورأو عرضًا، فإنّ تلك الوجودات كلّها أعراض قائمة بوجود الحقّ، لا بمعنى قيام معنى العرض بالجوهر حسبما هوالمتعارف المشهور بين الجمهور ليلزم كونه ـ تعالى ـ محلّ الحوادث كما ذهب إليه بعض المتكلّمين، أو محلّ الصور العلميّة كما ذهب إليه جمهور المشائين من الحكماء، بل هذا معنى آخر من القيام غير ما قيل أو يقال، والعبارة قاصرة عن بيانه، والأمثلة الدائرة في لسان العرفاء غير واردة على مضربها في شأنه. وجملة القول فيه أنّ معنى قيام الأشياء به ـ تعالى ـ عبارة عن قيّوميّته لها، فافهم وتثبّت وتفطّن بمفاد ما روي عن كعب الأحبار في تفسير لفظة«الله»

---

۱. الحكمة المتعالية، ج۲، ص۳۳۱.

حيث قال : «إنّه عبارة عن وجوده و لوازمه» ،[1] ولوازمه أسماؤه الحسنى ومظاهرها أعني الماهيّات و أعيان الممكنات التي وقع على هياكلها رشحات وجود الحقّ و لمعات نوره و ظلاله المعبّر عنهما بالسماوات والأرض .

وقريب من هذا المعنى ما رأيت في مرموزات أهل اللّه أنّ أصل السماء والأرض وحقيقتهما عبارة عن نور محمدﷺ ونار ابليس[2] ـ لعنه الله ـ وسيجيء شرح لهذا المعنى إن شاءالله .

لمعة اشراقيّة

قد دريت أنّ النور حقيقة بسيطة معناها بحسب شرح الاسم : الظاهر بذاته المظهرلغيره ، ودريت ممّا ذكرناه أنّ حقيقة النور ممّا لا يظهر لأحد إلّا بالمشاهدة الحضوريّة دون حصول صورة منها في الذهن ؛ لأنّ كلّ صورة ذهنيّة فهي تكون كلية أبداً ولو تخصّصت بألف مخصّص فيكون مبهماً ، والمبهم لا يكون متعيّناً ظاهراً في نفسه ، وعلى فرض تخصّصه يحتاج في ظهوره وتعيّنه إلى ذلك المخصّص ، فلا يكون ظهوره عين ذاته ، فلا يكون ظاهراً بذاته مظهراً لغيره هذا خلف .

وأيضاً كلّ ما هو غير النور فهو خفيّ في ذاته ، مظلم في جوهره ، ظاهر بالنور مستضيء به ، فكيف يكون هو مظهراً للنور ومعرّفاً كاشفاً له؟

فتيقّن أنّ الله ـ تعالى ـ هو ظاهر بذاته ، إذ ذاته عين ظهور ذاته لذاته ، وعين ظهور جميع الأشياء له ، كما أنّه مظهرها من مكمّن الخفاء وموجدها من كتم العدم إلى عالم الوجود ، فبذاته النيّرة يتنوّر غسق الماهيات المظلمة الذوات وينتشر به النّور في أهويّة الهويّات ، وتطلّع شمس عظمته على آفاق حقائق الممكنات ويطّرد العدم والظلمة عن إقليم المعاني والمعقولات ، فلو لم يكن طلوع ذاته النّيرة في آفاق هويّات الممكنات ، وإشراق نوره على السماوات والأرض وما فيهما ، لم يكن لذرّة من الذرّات وجود ، ولا لأحدٍ من الموجودات حصول لافي العقل ولا في العين .

وفي الحديث النبويّ المصطفوي ـ على قائله وآله أكرم كرائم تسليمات الله تعالى ـ :

---

١ . تمهيدات ، ص٢٥٨ ، وفيه عن كعب الأخبار : «لفظة الله عبارة عن بيان وجوده ، و نور السماوات والأرض عبارة عن بيان نور وجود لوازمه» .

٢ . نفس المصدر .

«إنّ الله ـ تعالى ـ خلق الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليهم من نوره[1]

وبهذا في الحقيقة ينكشف معنى قوله سبحانه: ﴿**يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾؛[2] وقوله: ﴿ **أنّ الله علام الغيوب**﴾،[3] فإنّ التدبير من اللّه عين إشراق نور الوجود منه في إبداعه للأشياء على وجه الحكمة والمصلحة، وكذا عالميّته بالغيوب عين إيجاده للأشياء المستورة في ذاتها، المعقولة له بنفس الإيجاد الذي هو ضرب من التعقّل في حقّه كما رآه الإشراقيّون؛ إذ ليس وجودات الأشياء عنه متراخية عن إرادته لها ومشيّته، ولا إرادته للأشياء التي هي عين علمه التفصيلي لوجودها متأخّرة عن وجودها، بل أوجد الموجودات معقولةً إيّاه، وعقل المعقولات موجودةً له ـ تعالى ـ، وهذا معنى كون «علمه فعليّاً» عندهم.

فالحاصل أنّ علمه الذي هو عين ذاته سبب لوجودات الأشياء التي هي عبارة عن معلوميّتها له و إشراق نوره عليها، فهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، فمن هذا أيضاً انكشف معنى قوله ـ تعالى: ﴿**الله نور**﴾.

تأييد استكشافي

قال مشايخ هذا الطريق: «النورهو الذي نوّر قلوب العارفين بتوحيده، وأنار أسرار المحبّين بتأييده».

وقيل: «هو الذى كون الأشياء بالتصوير والأسرار بالتنوير».

وقيل: «هو الذي يهدي القلوب إلى إيثار الحقّ واصطفائه، ويهدي الأسرار إلى مناجاته واجتبائه».

و إليه الإشارة بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿ **الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[4] أي: من الباطل إلى الحقّ، ومن العبد إلى الربّ، ومن البعد إلى القرب، ومن الأسفل إلى الأعلى، ومن الهاوية إلى الجنان.

---

١. مصباح الأنس، ص٤١٦؛ اللمعة البيضاء، ص١٧٠؛ وفي الجامع الصغير، ج١، ص٧٠؛ «إنّ الله ـ تعالى ـ خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره...»

٢. السجدة (٣٢): ٥.

٣. التوبة(٩): ٧٨.

٤. البقرة (٢): ٢٥٧.

كشف استناري

إعلم أنّ للحقّ ـ تعالى ـ أسماء متقابلة لازمة لذاته كالأوّل والآخر، والظاهر والباطن، و الهادي والمظلّ، والمعزّ والمذلّ، فله بحسب أحديّة وجوده الواجبيّ من كلّ صفتين متقابلتين أشرفهما بحسب جمال ذاته وزينة وجهه، وإنّما يصدق الطرف المقابل عليه بحسب مقايسة عظمة ذاته وجلاله إلى من دونه وقهره على من سواه، فالأسماء والصفات الجماليّة إنّما تثبت له أوّلاً وبالذات، والأسماء والصفات الجلالية تصدق عليه ثانياً وبالعرض من باب الضروري الذي يذكر في بحث العلل الغائيّة التي هي الفاعل لفاعليّة الفاعل.

وبذلک الأصل ينحفظ قاعدة استحالة كون الخير الحقيقي مبدأ للشرور، وبه أزاح أستاذ الحكماء ومقدّم المشّائين أرسطاطاليس شبهة الثنويّة القائلة بتعدّد الفاعل الأوّل للكلّ، فكلّ ممكن مزدوج الحقيقة من جهة كماليّة نوريّة ناشية من الصفات الجماليّة النوريّة، ومن جهة نقصانيّة عدميّة ظلمانيّة ناشية من الصفات القهريّة الجلاليّة الناريّة، فمن هذين الأصلين نشأ النّور المحمّديّ والنار الإبليسيّ الساريتين في سماوات الأرواح و الروحانيّات، وأرض الأجسام والجسمانيّات.[1]

والله ـ تعالى ـ منّور الكلّ بنور وجوده وجماله، وبنار هيبته وجلاله، كما أشار إليه بقوله: ﴿**اللّه وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾،[2] فاللّه نور السماوات والأرض بأنوار كواكب أسمائه النوريّة الجماليّة المشرقة في سماء حقيقة ذاته، وأشعّة نيران الجواهر النيّرة في آفاق ملكوته وجبروته، فالموجودات كلّها مسخرة لهاتين الصفتين، متقلّبة بين الإصبعين، فالعرش وما حواه بين صفتين من صفات السبحان، والقلب ومايهواه بين إصبعين من أصابع الرحمان اللتين كانتا في مرتبة صفتي لطف وقهر، وفي مقام أخر جوهري عقل ونفس، وفي درجة أخرى حالتي بسط وقبض.

وظلاهما في العالم: سماء وأرض، وفي الكواكب: سعود ونحوس، وفي الآفاق شرق وغرب، وفي الحيوان ذكر وأنثى، وفي الطعوم حلاوة ومرارة، وفي اللون سواد وبياض، وفي الكمّ: متّصل ومنفصل، وفي المقدار: قارّ وغير قارّ، وفي الخط: مستقيم ومعوج، وفي السطح: مستو ومنحن، وفي العدد: منطق وأصمّ، وفي المذهب: هداية وضلال، وفي

---

١. الحكمة المتعالية (الأسفار الأربعة)، ج٧، الفصل الثاني و الثلاثون: في لحوق الشرور و الآفات لطبيعة الوجود بوجه لاينافي خيريّتها، ص٣٥٥؛ تمهيدات، ص٢٥٨.

٢. البقرة(٢): ٢٥٧.

الاعتقاد: حقّ وباطل، وفي النفس: إقبال وإدبار، وفي القلب: بصيرة وعمى، وفي الآخرة: نعيم وجحيم، وفي الدنيا: دولة ونكبة، وفي الباطن: إلهام ووسوسة، إلى غير ذلك من المتزاوجات السارية في جميع الذراريّ، النازلة من سماء عالم الوحدة إلى أرض عالم الكثرة والهيولى لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ومن كلّ شيء خلقنا زوجين**﴾.[1]

وقلّ من العلماء من لم يزلّ قدمه في شرح تفاصيل هذه المراتب المزدوجة المتنزّلة من شرف سماء العظمة والكبرياء إلى المهبط الأدنى وحضيض الأرض السفليّ، ثمّ المرتقية إلى عالم الأسماء والقيامة العظمى التي يحشر فيها الأشياء إلى الربّ الأعلى: ﴿**وكلّهم آتيه يوم القيامة فردًا**﴾.[2]

فصل

في قوله ـ جل اسمه ـ: ﴿**مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب درّيّ**﴾

حبّذا عبد بلغ في عبوديّته وسلوكه طريق الإنابة إلى مقام شاهد بالمشاهدة القلبيّة نور وجه الله، ورآه كما رآى بالمشاهدة البصريّة نور المصباح من وراء زجاجة واقعة في مشكاة، فما هو بمنزلة زجاجة هذا النور هو محمّد رسول الله ﷺ، إذ لا يمكن مشاهدة النور الأحديّ لغاية شدّته وقوّته التي يقهر البصائر ويبهر الألباب إلّا خلف حجاب الزّجاج المحمّدي، إذ به يعرف مصباح نوره سبحانه قبل صباح ظهوره.

وإن أردت بيان نسبة المصباح إلى النور، والصباح إلى الظهور، فقل: «هو الله»، فقولك: «هوالله» لفظان: موضوع ومحمول، والحمل نحو من الاتّحاد في الذات والوجود، لكن لو نظرت نظراً عقلياً في مصداق هذا الحمل، وجدت «هوالله» شيئاً واحداً وذاتاً واحدةً، يعبّرعنهما تارةً بالوجود الواجبي والذات الأحديّة، وتارةً بالمستجمع لجميع الصفات الكماليّة والأسماء الحسنى.

ومصداق الحيثيّتان المذكورتان حقيقة بسيطة واحدة، تكون بإحدى الحيثيّتين هويّة، وبالأخرى إلهيّة، كما أنّه بأحد الاعتبارين وجودوباعتبار الآخراسم وصفة، وكما أنّ «المصباح» في عالم المشاهدة البصرية شيء واحد ومحسوس واحد لكنّه عند التمييز ينحلّ

---

١. الذاريات(٥١): ٤٩.

٢. مريم(١٩): ٩٥.

إلى أمرين، نور هو بمنزلة الوجود المطلق، وحامل صنوبريّ هو بمنزلة معنى اسم الله في الواجب ـ تعالى.

هذا إذا كان الممثّل له في «المصباح» هوالله ـ تعالى ـ: وأمّا إذا كان ذاتاً إمكانيّة كذات الرسول ﷺ فأحد الأمرين منه بمنزلة الوجود والثاني بمنزلة الماهيّة في الممكن.

والفرق بين المواضع الثلاثة، أنّ الصفة والموصوف في« المصباح » أي النور والصنوبرة متّحدان حسّاً ووضعاً، متغائران وجوداً وعقلاً، ومابازائهما في الممكن أي الماهيّة والوجود متّحدان وجوداً وعيناً متغائران عقلاً وتسميةً، وفي الواجب ـ تعالى ـ ما هو بمنزلة الوجود في الممكن والنورية في« المصباح» وهو المسمّى بالهويّة عين ما هو بمنزلة الماهيّة والحامل وهو المسمّى بالاسم «الله» لا فرق إلّا في العبارة، «فالمصباح »مثال لله، ونوره مثال للهويّة الأحديّة.

فلو لم يكن للنور المصباحي حامل ذو تعيّن وضعي، لما تشخّص منه جهة قرب وبعد في الهواء الذي يستنير منه شدةً وضعفاً، فلم يقع منه نور على شيء من هواء البيت في جدرانه وسقفه، لعدم النسبة بالرجحان وعدمه والأوليّة وعدمها، ولاستحالة الترجيح من غير مرجّح.

فكذلك لو لم يكن للحقّ أسماء يقع منها آثار مخصوصة على المظاهر والمجالي بحسب ما يقتضيه تعيّن كلّ اسم عن اسم آخر لم يصدر عنه في عالم الإيجاد شيء من الممكنات، إذ لا أولويّة لممكن مّا، و لا رجحان له على ممكن آخر بحسب الجهةالإمكانيّة، فإنّ الماهيّات الإمكانيّة والمعاني الكليّة التي هي غير الوجود في درجة واحدة بحسب الذات في قبول نور الوجود وعدم قبوله، بل المعيّن لكلّ منها في مقام خاصّ ودرجة معيّنة إنّما هو ذات الواجب بمايلزمها من الأسماء والصفات المنبعثة عن حاقّ هويّته الإلٰهيّةو شمس حقيقته الواجبيّة، النافذ نورها في جميع هياكل الممكنات، الباسط فيضها على بساط جميع الماهيّات.

ثمّ لمّا كان أوّل من قرع باب الاستنارة بنور اللّه، وأوّل من نطق بـ﴿ **لا إله إلاّ الله**﴾هو العبد الأعلى، والعقل الأوّل، والممكن الأشرف، والحقيقة المحمّديّة، فهو مصباح نور الله، وبتوسّطه يقبل الاستضائة والاستنارة جميع الماهيّات الواقعة في فضاء قابليّة الوجود والهويّات، الساكنة في هواء بيوت أهل المحبّة والعبوديّة لمبدع الوجود الفائض لنور الخير والجود، فذات النبيّ ﷺكالمرآة المصقولة التي تحاذي بها وجه النيّر الأعظم، وتوازي شطر الحقّ، فتجلّى لها وجه ربّک ذوالجلال والإكرام.

تفريع

فكلّ من صحّت نسبته إليه من فقراء أمّته سابقاً ولاحقاً انعكس نورالحقّ منهﷺإليه، وهذا معنى «الشفاعة» التي يكون جميع الناس محتاجين إليها يوم القيامة حتى الأنبياء و الأولياء سلفاً وخلفاً﴿**وجوه يومئذ ناضرة*إلى ربّها ناظرة**﴾.[1]

واعلم أنّ الغرض الأصلي من العبادات والرياضات هو تصفية وجه الذات والمحاذاة بالقلوب الصافية شطر نور الحقّ الأحد خلف زجاجة محمّدﷺليشاهد نور الله، ويقع عليه ضوء معرفة الله، وهذا معنى ما قال أويس القرني ـ رضي الله عنه ـ : «للعبد أن يكون عيشه كعيش الربّ»،[2] وإلى ما ذكرنا يرجع حاصل معنى العبوديّة التامّة.

وقد سئل عن بعض أصحاب القلوب : ما العبوديّة؟ فقال : «إذا صرت حرّاً فأنت عبد»،[3] معناه أنّك إذا تجرّدت وخلّصت عن التعلّقات وتصفّى قلبك عن الكدورات، فصرت عبداً لله وملَكاً مقرباً وملكاً ومالكاً لجميع الأشياء بعزّة الله وقدرته وملكه﴿**لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾.[4]

وممّا ورد في هذا المعنى عن رسول اللهﷺفي خبر أهل الجنة :

> «إنّه يأتي إليهم الملك بعد أن يستأذن عنهم للدخول عليهم، فإذا دخل ناولهم كتاباً من عند الله، فإذاً في الكتاب لكلّ انسان يخاطبه به : «من الحيّ القيّوم إلى الحيّ القيّوم، أما بعد، فانّي أقول للشيء «كن» فيكون، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء «كن» فيكون، فقالﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنّة لشيء : «كن» إلّا ويكون.[5]

تنبيه

ولكنّك يا مسكين يجب أن تعلم التمييز بين المرآة والشخص، وتفرق الظلّ من الأصل، وقد نبّهناك عليه قبل ذلك لأن لايقع فيما وقع فيه كثير من أهل الضلال والنكال، وأصحاب الحلول والاتّحاد، فما للتراب وربّ الأرباب﴿**وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى**﴾،[6] فإذا

---

١. القيامة (٧٥) : ٢٢ـ٢٣.

٢. تمهيدات، ص٢٦١.

٣. نفس المصدر.

٤. آل عمران(٣) : ١٦٤.

٥. الفتوحات المكيّة، ج٣، ص٢٩٥؛ طبع بيروت في أربع مجلدات.

٦. الأنفال(٨) : ١٧.

خوطب سيّد الأبرار وقائد الأخيارﷺبقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنّک لا تهدي من أحببت**﴾، [1] فما يكون لأمثالک ونظرائک.

ثمّ في التعبير عن تلک المرتبة بالأمانة في قوله ـ عزّجاره ـ : ﴿**إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً**﴾، [2] إشعار لطيف بما ذكر، فإنّ الأمانة مردودة إلى صاحبها، بل كلّ صفة وجوديّة وكمال نوريّ أفاضه الله على ممكن من الممكنات وماهيّة من الماهيّات فهوأمانة من الله عنده، وليس له إلّا الانصباغ بنوره والمجاورة معه والاحتفاف به، لا الاتّصاف بالحقيقة، ولهذا ينخلع عنه عند أداء الأمانات ورجوع الكلّ إليه ﴿**ألا إلى الله تصير الأمور**﴾. [3]

وإلى هذا المعنى أشار أبوسعيد الخراز حيث قال:

> علامة المريد في الفناء، ذهاب حظّه عن الدنيا والآخرة إلّا من الله ـ سبحانه ـ [...]، [4] ثمّ يبد وله باد أيضاً، فيريه ذهاب وجود نفسه وحظ رؤيته من الله، ويبقى رؤية ما كان لله من الله، فينفرد العبد من فردانيّته، فإذا كان كذلک فلايكون مع الله غير الله، فيبقى الله الواحد الصمد في الأبديّة كما كان في الأزليّة. [5]

هذا كلامه وهو تمام في فحواه لمن كان له سمع يسمع آياته، وعقل يفهم توحيده، وبصر يرى قدرتهٔ ونفوذ أمره في عالم الملک والملكوت والغيب والشهادة.

طريق آخر

[في مراتب الصدر و القلب و الروح]

روي عن بعض السابقين من المفسّرين: إنّ «المشكاة» هو الصدر و «الزجاجة» هو القلب، و «المصباح» هو الروح. [6] وهذا إدراكه جلّي واضح، لكن ينبغي أن يعلم أنّ لكلّ من هذه الثلاثةأي: الصدر والقلب والروح مراتب ثلاثة:

---

١. القصص(٢٨): ٥٦.
٢. الأحزاب(٣٣): ٧٢.
٣. الشورى(٤٢): ٥٣.
٤. في التمهيدات سطر سقط فى استنساخ المؤلّف و هو هكذا: «ثمّ يبدو له باد من ذات الله فيريه ذهاب حظّه من قدرةالله».
٥. نفس المصدر، ص٢٦٢.
٦. نفس المصدر.

أولها : ظاهرة مكشوفة لكلّ أحد، لكونها من عالم الحسّ الظاهريّ.

وثانيها: مستورة عن الحسّ الظاهر، مكشوفة للحسّ الباطن.

وثالثها : مستورة عنهما جميعاً، مكشوفة للعقل النظريّ، ولها مراتب أخرى ليس هاهنا موضع بيانها.

فالمرتبة الأولى : أمّا من الصدر، فهي هذا المركب من العظام والأغشيةوالرباطات المحيطة بجرم الكبد، وكأنّ المراد به هو الكبد، لكونه محلّ الروح الطبيعي. وأمّا من القلب فهو اللحم الصنوبريي. وأمّا من الروح، فهو جسم لطيف حارّ، هو مركب النفس الحيوانيّة المدركة للجزئيّات لأجل الحركات الشهويّة والغضبيّة.

وأمّا المرتبة الثانية : من كلّ منهما : فمن الصدر، الروح الطبيعي، ومن القلب، الروح الحيواني المذكور، ومن الروح، الروح النفساني البشري الذي يتعلّق به ويستعمله النفس الإنسانيّة المتفكّرة في المقاصد الحيوانيّة والمرويّة في التدابير البشريّة بحسب المعاش والمعاد والدنيا والآخرة، على ما يقتضيه العقل العملي، المشترک فيه بين الناس، المتّفق عليه العامّ والخاصّ عند تخليته عن العوائق والوساوس وسلامته عن القواطع والنوازع.

فهذه الأرواح الثالثة أي الطبيعي والحيواني والنفساني هي التي يبحث عنها الأطباء، ويسمّى عندهم بالأرواح ويتميّز عندهم بالقيود الثلاثة ويتفاوت جسميّتها في اللطافة شدّة وضعفاً، وفي كمال الاعتدال ونقصه.

ولكلّ منها مولد ومنشأ خاصّ : فمنبع الروح النفساني الدماغ وهو أعدل الأرواح ومنشأ الروح الحيواني القلب الصّنوبري وهو متوسّط في كمال الاعتدال، ومولد الروح الطبيعي الكبد وهو أخرجها عن الاعتدال.

وهذه الأرواح الثلاثة أشرف الأجسام العنصرية حتّى كادت أن يشبه الأفلاک. وأمّاعند العرفاء فأساميها ما ذكرنا من الصدر والقلب والروح بحسب هذا الاستعمال في المرتبة المتوسّطة.

وأمّا المرتبة الثالثة : فالصدر بحسب هذه المرتبة هي النفس الحيوانيّة التي يستعملها القلب الإنساني، وهو في هذا المقام عبارة عن النفس الناطقة المذكورة والعقل العملي المذكور، والروح عبارة عن العقل المستفاد المشاهد للمعقولات عند اتصالها بالعقل الفعّال، وهو الملک المقدّس، وهو قلم الحقّ، كتب في ألواح قلوبنا حقائق الإيمان لقوله

ـ تعالى ـ: ﴿ اقرأ وربّک الأکرم *الذي علّم بالقلم* علّم الإنسان ما لم يعلم﴾.[1]

فهذه الثلاثة في هذه المرتبة تكون من عالم الآخرة وعالم الغيب وعالم الملكوت، وفي المرتبة الأولى كانت من عالم الدنيا وعالم الشهادة وعالم الملك، وفي المرتبة المتوسّطة يقع متوسّطاً بين العالمين، برزخاً بين النشأتين، بمنزلة عالم الأفلاک الذي قيل: «إنّه الأعراف».

والقلب بهذا المعنى الأخير هو الذي يقال: «إنّه عرش الله» و«مستوى اسم الرحمان» لكونه محلّ معرفة الله وملكوته على سبيل الاستقامة، من غير اعوجاج ولا إلحاد في عظمة ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وكتبه ورسله واليوم الآخر الذي هو يوم مراجعة الخلائق إليه، و إعادة الأرواح ومثولها بين يديه.

والصدر هو الكرسي، ونسبة العرش إلى الكرسي كنسبة العقل إلى النفس والقضاء إلى القدر، إذ المعقولات كلّها مجملة في القضاء، مفصّلة في القدر، وكذا الأنوار الكوكبيّة، متّصلة واحدة في العرش لغاية صفائه ولطافته وكونه مصاقباً لأفق عالم المعنى والملكوت و هي منفصلة متجزّية في الكرسي ـ لكون فلک الكواكب في اللطافة دون فلک العرش.

فصل
في قوله ـ عزّ اسمه ـ:
﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة﴾

اعلم أنّ هذه الشجرة ليست من أشجار الدنيا وعالم الحس ـ كما ظنّه المحجوبون ـ و إلّا لكانت في جانب من جوانب الدنيا قابلة للإشارة الحسّية وأنّها ليست كذلک، فليست في الدنيا، ولا في الآخرة أيضاً ـ كما ذهب إليه قوم آخر.

قال الحسن البصري:

«لو كانت هذه الشجرة في الدنيا لكانت إمّا شرقيّة وإمّا غربيّة، ولكن والله ما في الدنيا ولا في الجنّة، إنّما مثل ضربه الله لنوره».

وكثيراً ما يكون لشيء واحد أسامي كثيرة باعتبارات متعدّدة، يكون المقصود من الكلّ معنى واحداً وإن تعدّدت الألفاظ وتكثّرت الحيثيّات، وربّما يكون لحقيقة واحدة درجات متفاوتة في العوالم المتطابقة المتحاذية بعضها فوق بعض، كالقلب الذي ظاهره جسم مركب

1. العلق (٩٦): ٣ـ٥.

من العناصر الأربعة، ثمّ من الأخلاط، ثمّ من الأمشاج مثل الشحم واللحم و العصب و العروق وماشاكلها.

وظاهر ظاهره شكل صنوبريّ أحمر محسوس، وباطن ظاهره تجويف ظلمانيّ أسود، وباطنه روح بخاريّ حاصل من لطافة الأخلاط و بخاريّتها، كما أنّ هذا الظاهر حاصل من كثافة الأخلاط وأرضيّتها، ونسبةهذا إلى ذلک كنسبة الأرض إلى السماء.

ولباطنه باطن هو النفس الحيوانيّة وهو قشر ظاهر للنّفس الإنسانيّة الناطقة، ونسبته إلى هذه النفس كنسبة البدن إليه، ثمّ لباطن باطنه باطن آخر، يكون جميع ما سبق ذكرها قشوراً بالقياس إليه، وهو محيط بها إحاطة العرش بما فيه من السماء والفرش، وهو الجوهر العقلي الذي كان مفاضاً على النفس من المبدء الفعّال، وهو في أوّل تكوّنه كان بمنزلة المعاني الذهنيّة، والمفهومات الكلّية الهيولانيّة، ونسبته إلى العقل الفعّال نسبة المنيّ إلى الرجال.

ثمّ يتدرّج في قوّة الوجود العقلي إلى درجة العقل بالملكة التي يدرک بها المقدّمات الأوليّات، ويتفطّن للمشاركات والمباينات، ويتنبّه للتصوّرات والتصديقات المأخوذة من الحسيّات، ثمّ إلى درجة العقل بالفعل الذي يدرک به النظريّات وحدود الماهيّات وبراهين الموجودات، ثمّ إلى درجة العقل المستفاد المشاهد لصورالمعقولات في القلم الأعلى واللوح المحفوظ، ثمّ ينخرط في سلک الملائكةالمقرّبين والاتّحاد معهم اتّحاداً نوريّاً مقدّساً من شوائب القصور والنقص، فهذه كلّها من جملة مراتب القلب الإنساني في الصعود من أرض الجسميّةإلى سماء اللاهوتيّة.

فعلى هذا، قياس غيره من الحقائق المستعملةألفاظها عند أهل الشريعة والحقيقة مطلقاً وفي هذه الآية خاصّة، فالشجرة الزيتونة عند المحجوبين المقتصرين على أوّل الدرجات للحقائق وأدنى العوالم للمعاني هي شجرة منبتها الشام وغيرها، وأجود الزيتون زيتون الشام وهي مباركة؛ لأنّها كثيرة المنافع، أو لأنّها تنبت في الأرض التي بوركت للعالمين أو بورک فيها حيث دفن فيها أجساد سبعين نبياً منهم إبراهيم عليه السلام.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «عليكم بهذه الشجرة، زيت الزيتون فتداووا به، فانّه مصححة من الباسور».[1]

ومنبتها لا شرقيّة ولاغربيّة؛ لأنّ الشام متوسّط بين شرق العالم وغربه، أي الربع المعمور

١. مجمع الزوائد، ج٥، ص١٠٠، باب دواء الباسور.

للأرض المكشوف من البحر الذي أحد جانبيه في الطول وهونصف دائرة عظيمة في الأرض الجزائر الخالدات، الواقعة في جانب الغرب، وكانت مكشوفة في قديم الزمان من البحر و الآن مغمورة فيه، والجانب الآخر منتهى العمارة عند ساحل البحر في جانب الشرق.

وقيل: لا في مضحى ولا في مقنأة،[1] ولكنّ الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها. قال رسول اللهﷺ:

لا خير في شجرة في مقنأة، ولانبات في مقنأة، ولا خير فيهما في مضحى».[2]

ويستفاد من هذين القولين أنّها شجرة واقعة في أفق قبّة الأرض، وهو في اصطلاح أهل الهيئة والنجوم موضع من الأرض طوله تسعون درجة، وعرضه عرض وسط الأقاليم، أو منتصف الربع للدور أعنى خمسة وأربعين، إذ القول الأوّل مشعر بتوسّط موضعها في الطول بين مطلع الشمس ومغيبها في الأرض المعمورة، والقول الثاني مشعر بكونه متوسّطاً في العرض واقعاً بين غاية ارتفاع الشمس في نصف النهار الأطول، وغاية انحطاطها فيه في المواضع المعمورة، أو يكون النهار فيه متوسّطاً بين غاية الطول وغاية القصر في جميع السنة كمواضع خط الاستواء ومايليه.

فهذا بيان معنى «الشجرة الزيتونة» حسبما وصل إليه أفهام الجمهور و بحسب ظهورهافي مظاهر هذا العالم ووجودها في مهوى كدورةالأجرام ومعدن الظلام. وأمّا تحقيقها بحسب نشأة أخرى غير هذه النشأة، فوقع إليه إشارات قرآنية ورموز نبويّة متفاوتة حسب مقامات العارفين ودرجات المتذكّرين؛ فتارة يعبّر عنها بـ«شجرة طوبى» وتارة بـ﴿**سدرة المنتهى عندها جنة المأوى**﴾[3] وتارة بمقام«أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[4] وتارة بشجرة موسى ﴿**شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين**﴾،[5] وهي المطالب العلميّةالبرهانيّة النورانيّة وصبغ الخطابيّات والمواعظ الحسنة المقبولة للعقول المتعارفة.

---

١. المقناة الموضع الذي لاتطّلع عليه الشمس.

٢. تخريج الأحاديث و الآثار، ج٢، ص٤٤٧.

٣. النجم(٥٣): ١٤-١٥.

٤. مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٨٤؛ عوالي اللئالي، ج٢، ص٢٣٣، ح١، باب الصوم؛ وفي من لايحضره الفقيه، ج٢، ص١٧٢، كتاب الصوم، باب النوادر: «أظلّ عند ربي...».

٥. المؤمنون(٢٣): ٢٠.

تظليل فرشي فيه تنوير عرشي

قد تبيّن لک بما قرع سمعک أنّ للقوة الإنسانيّة التي تكوّنت أوّل نشأتها في القلب اللحمي الصنوبري الشكل المخروطي الوضع درجات متفاوتة في الارتقاءإلى الكمال ولها تطوّرات في الأحوال، وإنّما ينكشف ذلک بأن تعتبر أوّلا القلب وأحواله، وهو بالحقيقةأوّل عضو يتكوّن في البدن ويتحرّک وآخر عضو يفسد ويسكن، بل هو بالحقيقة البدن الحيواني الذي يستعمله النفس بواسطة ما ينبعث عنه من البخار اللطيف، وباقي الأعضاء يراد لأجله ويولد لصيانته، لأنّها بمنزلة الغلافات والقشور الصائنة للب القلب، والآلات الخادمة له، الحافظة إيّاه، ولذلک يكون واقعاً فی وسط البدن، وهو وإن كان في الصورة محاطاًلها، وفي الكميّة أصغر منها إلّاأنّه في القوّة والمعنى محيط بها، مستعمل إيّاها، غاية لوجودها، وفاعل معط لقواها.

ثمّ يتولّد منه بخار لطيف هو الروح الحيواني عند الأطبّاء، ثمّ يتولّد منه روح آخر بخاري ألطف منه، وهوالروح النفساني، ثمّ يتولّد منه النفس النباتيّة وهي قوّة ومبدأ للتغذية والتنمية والتوليد، ثمّ النفس الحيوانيّة.

وأوّل مراتبها القوّة اللمسيّة، كما في الدود والحلزونات ونظائرها من الحيوانات العديمة الرؤوس، ثمّ يتولّد النفوس الحسيّة على طبقاتها، ثمّ النفوس الخياليّة على طبقاتها، ثمّ النفوس الوهمانيّة كذلک، وهذه أقصى درجات النفس الحيوانيّة بما هي حيوانيّة، ثمّ يتكوّن النفس الناطقة الملكيّة وهي نور من أنوار الله المعنويّة قد طلع عن أفق عالم الآخرة، وهي أوّل من قرع باب الملكوت، فأوّل درجتها العقل الهيولاني، وهو بذر شجرة العقل والعرفان وحبة ثمرة المعرفة والإيمان، ثمّ يتكوّن منه العقل الاستعدادي، ثمّ العقل بالفعل، ثمّ المستفاد المضيء في المعاد، ثمّ العقل الفعّال للمعقولات والأنوار والفيّاض لوجودالحقائق والأسرار.

فإذا علمت هذا في مراتب الإنسان وسفره وسلوكه في درجات الأبدان والنفوس والعقول إلى أن بلغ في الارتقاءإلى أقصى الغايات التي نزل منها، فاعلم هذا في مراتب ما يتغذّى به ويتقّوى منه، ويستكمل ويترقّى، فله في كلّ مقام أدوية وأغذية خاصّة، وقرائن معيّنة، وأزواج معلومة بعضها من باب الأجسام والجسمانيّات، وبعضها من باب الحواسّ والمحسوسات، و بعضها من الأوهام والخيالات والظنون والاعتقادات، وبعضها من باب العقول و المعقولات، وبعضها من باب الشهود والمشاهدات.

فما دام الإنسان في عالم الدنيا والجسميّة فلابدّ له من غذاء يشبه المغتذي صورة ومادّة وقوّة، فيتغذى الصورة بالصورة، والمادّة بالمادّة، والقوّة بالقوّة والحسّ بالمحسوس، ثمّ لكلّ عضو حصّة من الغذاء يشابهه ويشاكله بعد مراتب النضج والاستحالات بالقوّة الغاذيّة التي هي في البدن بمنزلة القوّة العاقلة في النفس، فلا بدّ له أيضاً في تجوهر نفسه وذاته من أغذية علميّة وموادّ عقليّة. أو لا ترى أنّ مادّة الغذاء إذا وردت البدن وحضرت عند تصرّف الغاذية فتصرّفت فيها وأحالها في مراتب الهضم بقواها المسخرة لهذا الأمر وصيّرتها صافية عن الفضلات بصنعة طبيعيّة يشبه صنعة الكيمياء فيجعلها خالصة عن شوائب الغشّ والغلّ، ومصفّاة عن القشور في مراتب أربع للهضوم والأحالات:

إحداها: في المعدة، فيتخلّص ويتجرّد من ذنوب بعض الفضلات والغشاوات بهذا التعذيب وهذه الرياضة بحرارة جهنّم المعدة التي قيل لها: ﴿**هل امتلات**﴾ فتقول: ﴿**هل من مزيد**﴾،[1] بيد زبانيّة القوى التي عليها تسعة عشر، ويتوب عن خروجها قبل ذلك عن طاعة الله وبعدها عن عالم الاعتدال والوحدة، وانحرافها عن جادّة الصراط المستقيم، ومروقها عن شريعة الطبيعة المدبّرة للأجسام على نهج الحكمة.

ثمّ إذا فرغت هذه القوى في خدمتها التي يخصّها لهذا المسافر الغيبي في هذا المنزل، وارتقى قليلاً من هذه الهاوية المظلمة إلى طبقة أخرى فوقها، وقع بيد قوى أخرى من هذا الصنف، فعملوا فيه ما أمروا به، فانهضم في الكبد مرة أخرى، وسقط منه بعض ما بقي فيه من الفضول، فصار أخلاطاً أربعة خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، لخروجها عن تمام التعصّي عن الطاعة، وقربها من الصلاح والعبوديّة لأمر الله، المستعمل لها في عمارة بيت الله المعمور.

ثمّ إنّ أصلح هذه الرفقاء الأربعة هو الجوهر المسمّى بالدّم، فإذا وقع في العروق وخرج منه العرق وارتاض وسلك سبيل الطاعة للنّفس واشتعل في بيت القلب للنسك الطبيعي، ومكث قدراً صالحاً من الزمان للعبادة البدنيّة صلح لأن يلبس كسوة الصورة البدنيّة بيد القوّة المصوّرة، مؤدّياً لشكر هذه النعمة الجسيمة فضلة من الزائد عن الحاجة بيده القوّة المولّدة لتصير مادّة لبدن آخر مثله في النوع.

فإذا علمت حال استكمال البدن بما يكمله، ويزيده في المقدار والقوّة إلى أقصى ما له من الكمال، فاعلم أنّ حال استكمال النفس في أغذيته النفسانيّة و العقلانيّة هذا المنوال،

---

١. ق(٥٠): ٣٠.

فإنّ النفس بقوتّها الإدراكيّة أحضرت عندها صورة محسوسة، فأوّل ما تصرّفت فيها بقوّتها المتصرفّة هو أنّ نزعها عن كدر المادّة التي هي كالفضلة الأولى للغذاء، والهاوية لأهل العقوبة والجزاء، فسمّي هذا الفعل من النفس بـ«الإحساس» وهو تصرّف فعليّ من النفس، وهو كمال انفعاليّ للحواسّ.

ثمّ وقع منها تصرف آخر في تلك الصورة وهو تقشيرها مرّة أخرى تقشيراً أتمّ، حتّى خلعت عنها الأغشية الماديّة، وهذا هو «التخييل» و«التصوير»، والصورة عند ذلك كمال للخيال و غذاء له، ونسبتها إليه نسبة المحسوس إلى الحسّ.

ثمّ فعلت فعلا آخر بحيث انتزعت منها المادّة وعوارضها بالكليّة، إلّا أنّه بقي لها علاقة إلى المادّة، بحيث تضاف إلى مادّة مخصوصة وهو «التوهّم».

ثمّ إذا عملت فيها عملاً آخر، نقضت عنها آثار المادّة وعوارضها وعلايقها وشواغلها، فصارت لبّاً خالصاً سائغاً للبيب العقل الذي هو ملك من ملائكة الله؛ لأنّها تخلّصت من الذنوب والجرائم الماديّة، والمعاصي الجرمانيّة بالكليّة، واستغفرت وتابت وأنابت، ورجعت وآبت، «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له».[1]

فانظر إلى حكمة الصانع كيف أبدع قوّة عاقلة، يعمل في المحسوس عملاً يجعلها معقولاً وعاقلاً.

فعلم ممّا ذكرنا أنّ لكلّ شيء من الأشياء سلوكاً طبيعياً خاصاً نحو الخير الأقصى و المقصد الأسنى، فلكلّ سافل سلوك نحو العالي، ولكلّ عال رحمة وعناية بالسافل تشبّهاً بالمبدأ الأولى في إفاضة الخيرات كلّها. وعلم أنّ الغذاء مثلاً كالمغتذي يتطوّر بالأطوار، ويتسمّى في كلّ طور وعالم باسم خاصّ يناسبه.

فأدون المنازل وأدناها عنصر، ثمّ بعد الاستحالات جسم مركب جمادي كالحنطة و الخبز والزيت، ثمّ بعد مراتب التصرّفات دم وخلط صالح، ثمّ لحم وغضروف وعصب، ثمّ بخار لطيف حارّ، ثمّ صورة حاسّة ومحسوسة، ثمّ صورة خياليّة، ثمّ صورة وهميّة أو عقليّة، وهلمّ إلى درجة مشاهدة الأنوار الإلٰهيّة، ومعاينة الصفات اللاهوتيّة والأسماء الربانيّة. فيكون لها في كلّ مرتبة من المراتب الخلقيّة والأمريّة، وبحسب كلّ كسوة وخلعة من الأكسية والخلع النورانيّة والظلمانيّة اسم خاصّ. فضرب الله مثلاً للذين آمنوا منك ودرجاتك في

1. الكافي، ج2، ص435، ح10، باب التوبه؛ عيون أخبار الرضاﷺ، ج1، ص79، ح437.

العرفان والارتقاء إليه إلى أن يصير نوراً على نور بشجرة الزيت في ارتقائها إلى غاية الكمال وسلوكها سبل الاهتداء بعالم النور المحسوس ووصولها إليه حتّى تصير نوراً على نور.

فالشجرة الزيتونة بمنزلة نبات يثمر غذاء وطعاماً لطيفاً للانسان الكامل الذي هو أشرف خلق الله وعبده الذّاهب إلى ربّه كالخليل عليه السلام حيث قال: ﴿**إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين**﴾[1] و كموسى عليه السلام حيث قال: ﴿**إنّي آنست ناراً**﴾،[2] وكنّبينا صلى الله عليه وآله حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد**﴾.[3]

«والزيتونة» بمنزلة الأطعمة والأغذية التي يتناولها الإنسان ويدخلها في جوفه.

و«المشكاة» بمنزلة البدن الإنساني لكونها مظلمة في ذاتها قابلة للنور لاعلى التساوي لاختلاف السطوح و الثقب فيها و هكذا حكم الجسد الإنساني في قبوله لأنوار الحسّ و الحركة لاعلى التساوي.

«والزجاجة» القلب باعتبار تجويفه الذي يكون مكاناً للروح الحيواني الذي بمثابة دهن الزّيت.

«والمصباح» هو الروح النفساني المنوّر بنور النفس الإنسانيّة.

وتلك الروح لغاية قربها من عالم الغيب والملكوت، ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**﴾ من خارج؛ لأنّ العلل الذاتيّه ليست أموراً خارجةً عن ذوات المعلولات، فالقابل لنور النّفس وإن كان مفتقراً في الاستنارة بها إلى العقل الفعّال، لكنّه غير مفتقر إلى سبب خارج عن ذاته، فكأنّه مكتف بذاته عن السبب.

وأمّا وصف «الزجاجة» بأنّها ﴿**كوكب دريّ**﴾ فذلك لكون القلب في الحقيقة هو تجويفه الذي يمتلي بنور الروح الحيواني ويتنوّربه. وأمّا كونه متوقّداً من شجرة مباركة فلكونه مادّة روحه من الأشجار والنباتات الغذائيّة الكثيرة البركات لحصول الأرواح ونفوسها وعقولها منها ومن موادّها بعد استحالات وحركات كثيرة، كما أنّ الزيت إنّما من شجرالزّيتون بعد تعصيرات شديدة.

وأمّا وصف الشجرة بأنّها «لاشرقيّة ولاغربيّة»، فإنّ ألطف الأغذية وأعدل الأمزجة إنّما يتكوّن في البلاد والبقاع التي كانت في أوساط الربع المكشوف من الأرض كما مرّ.

---

١. الصافات(٣٧): ٩٩.

٢. طه(٢٠): ١٠.

٣. الاسراء(١٧): ١.

فصل تقديسي
[تأويل آية النور في عالمي الآفاق و الأنفس]

هذا تأويل الآية في العالم الإنساني البدني وهو عالم صغير جسماني ولها تأويلان آخران: أحدهما: في عالم الآفاق، والثاني: في عالم الأنفس.

أمّا الأوّل: «فالمشكاة» عالم الأجسام، و«الزجاجة» العرش، و«المصباح» الروح الأعظم، و«الشجرة» هي الهيولى الكليّة التي مادّة حقائق الأجسام وصورها المختلفة التي هي بمنزلة الأغصان والأوراق، وهي في نفسه أمر ملكوتي عقلي إلّا أنّها أخس الجواهر الملكوتيّة وأدناها، وهي نهاية عالم الأرواح وبداية عالم الأجسام، فيكون غير منسوبة إلى شرق عالم العقول والأرواح، ولا إلى غرب عالم الأجسام والأشباح.

«**يكاد زيتها**»، وهو عالم الأرواح النفسانيّة، «يضيء» بأنوار العقول الفعّالة، «ولولم تمسسه نار»، نور القدرة الأزليّة، وذلك لقرب طبيعتها من الوجود، «نور على نور»، فالأوّل، نور الرحمة الإلٰهيّة، والمعرفة الربانيّة. والثاني، نور الروح الأعظم والعقل الفعّال، إذ الأوّل نور العقل الفعّال، والثاني نور النفس الكليّة التي هي نور العرش وهو مستوى نور الرحمة الرحمانيّة العقليّة التي هي كصورة الرحمان، فيكون نوراً على نور، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾،[1] وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ إشارة إلى أنّ فيض نور الرحمانيّة ينقسم على كلّ من يريد الله إيجاده من العرش إلى الثرى.

---

١. طه(٢٠): ٢٥.

فصل

[تأويل آية النور على مراتب النفس الناطقة]

وأمّا التأويل الآخر فهو الذي أفاده الشيخ أبوعلي بن سينا وأوضحه شارح إشاراته و موضح تـنبيهاته ـ قدّس سرّهما[1] ـ منزلاً على مراتب النفس الناطقة في ارتقائها إلى عالم الربوبيّة .

فكانت «المشكاة» العقل الهيـولاني لكونها مظلمة الذات ، قابلة لـلأنـوار العقليّة على تفاوت استعداداتها قرباً وبعداً ، و «الزجاجة» هي العقل بالملكة ؛ لأنّها شفافة في ذاتها ، قابلة للنور أتمّ قبول كالكوكب الدريّ .

و «الشجرة الزيتونة» هي القوّة الفكريّة والفكر ؛ لأنّها مستعدة لأن تصير قابلة للنور بذاتها ، لكن بعد حركة كثيرة وتعب . وكونها مباركة لما يترتّب عليها ويحصل منها من حدود الأشياء ، ونتائج البراهين الحقّة ، وكونها «لا شرقيّة ولا غربيّة» لكون الفكر يجري في المعاني الكليّة و المفهومات الذهنيّة والقضايا المعقولة ليست من غرب الموجودات الحسيّة الهيولانيّة ، ولا من شرق العقول الفعّالة القائمة بأنفسها .

و «الزيت» هو الحدس لكونه أقرب إلى ذلک من الزيتونة ، والذي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار القوّة القدسيّة ؛ لأنّها تكاد تعقل بالفعل ولولم يكن شيء يخرجها من القوّة إلى الفعل .

و «نور على نور» هو العقل المستفاد ، فإنّ الصور المعقولة نور والنفس القابلة لها نور آخر .

و «المصباح» العقل بالفعل ؛ لأنّه نيّر بذاته من غير احتياج إلى نور يكتسبه . و «النار» هو العقل الفعّال ؛ لأنّ المصباح يشتعل منها .

كشف إشراقي

اعلم أنّ قوله ـ تعالى ـ : ﴿**لا شرقيّة ولا غربيّة**﴾ ، إذا حمل «الشجرة الزيتونة» على الأمر العقليّ يكون معناه أنّها خارجة عن جنس الأمكنة والأحياز ، كما يقال للفلک : إنّه لا حارّ ولا بارد أي يكون خارجاً عن جنس هذه الكيفيّات الملموسة .

وإمّا إذا حمل على الأمر الجسماني كالشجرة التي يحصل منها الزيت أو القلب الصنوبري فيكون معناه الأمر المتوسّط مكانه بينهما ، كما يقال للماء الفاتر : «إنّه لا حارّ ولا بارد» .

---

١ . شرح الإشارات والتنبيهات ، الإشارة السادسة من النمط الثالث ، ج٢ ، ص٣٥٤ .

ويمكن حمل «الشرق» و«الغرب» على الآخرة والدنيا عند ما يرادمن «الشجرة» القوّة الفكريّة أو الهيولى، ومعنى سلب الطرفين عنهما حينئذ يحتمل الوجهين: إمّا التوسّط بين هذين الضدّين، أو الخروج عن جنسهما.

ويمكن حمل «الشرق» و«الغرب» على الوجوب والإمكان، فإنّ ذات الباري ـ جلّ اسمه ـ مطلع أنوار الوجودات وعالم الإمكان مغيب تلك الأنوار، وفيه أفول كواكب الحقائق الأسمائيّة، فحينئذ ينبغي أن يراد بـ«المشكاة» الطبيعة الكليّة الساريّة المختلفة في الأجسام، و«الزجاجة» النفس الكليّة المشفّة في ذاتها القابلة للنور العقلي أتّم قبول، و«الشجرةالزيتونة» هي القدرة الإلٰهيّة المتشعبةإلى فنون إيجادات الحقائق المختلفة حسب اقتضاء الأسماء الحسنى، وصور علم الله المتقدّمة على مظاهرها المختلفة وموجوداتها المفصلة، والقدرة الإلٰهيّة لكونها أمراً نسبياً لازمة للذات الأحديّة ليست شرقيّةً ولاغربيّةً بالمعنى المذكور، و«الزيت» هو إرادة الله، الموجبة للإضائة والإشراق من غير افتقار إلى انضمام الداعي إليه لكونه ـ تعالى ـ تامّ الفاعليّة والإيجاد، مستقلّ القوّة والقدرة لإشراق نور الوجود منه على العالم، وإن لم تمسسه نار العلّة الغائيّة والمصلحة الخارجيّة.

و«المصباح» العقل الكلي أي عالم العقول لكونه نيّراً بذاته لتقدّسه عن شوب القوّة و الاستعداد ومتنوّراً بالنور الفائض عن الحقّ الجواد على ذاته عند مشاهدته للحقّ ـ سبحانه ـ وشروق نورالله عليه، فكان نوراً على نور، ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ من عباده وهو جميع الموجودات الممكنة الذوات، المهتدية بنور الوجود إلى غاياتها الذاتيّة بتوسّط النور الأوّل الإبداعي العقلي الذي هو غاية عالم الإمكان.

نكتة عرشية

يمكن أن يراد بـ«الشجرة الزيتونة» مجموع عالم الأجسام، فإنّه كشجرة زيتونة لاشرقيّة ولاغربيّة؛ لأنّ مجموع المحدّد للجهات وما حواه من حيث المجموع ليس واقعاً في مكان ولاجهة.

و«زيتها»، قوّة الوجود المطلق والطبيعة السارية فيه، إذ لها الاستعداد لقبول الاشتعال، والاستضائة بمراتب الأنوار قوّةً وضعفاً حسب تفاوت زيت الموادّ وعظم الفتيلة وصغرهامن الصور الجسميّة الفلكيّة والعنصريّة.

و«المشكاة»، هي الهيولى الكليّة، أي مجموع الهيوليّات.

و«المصباح»، هوالنفس الكليّة، أي عالم النفوس المتعلّقة بالأجسام المختلفة في الاشتعال والنوريّة، و«نوره»، العقل الكلي، أي جملة العقول المقدّسة المنوّرة بنور المعرفة الإلٰهية على تفاوت مراتبها.

وكماأنّ أجزاء المصباح ومواضعها متفاوتة في الإنارة والإضائة، وفي وسط أجزائه المتّصلةموضع جزء هو أقوى الجميع قوّةً ونوريّة؛ فكذلک في العقول القادسة عقل أوّل هوأشرف الممكنا ت وجوداً، وأقواها نوريّة وإشراقاً، وهوالحقيقة المحمديّة المنوّرة بنور معرفة الله بلاواسطة، فيكون نوراً على نور و لايتنوّر من سواه بنور الحقّ وشهوده إلاّ بتوسّطه، فصحّ قوله ﷺ: «لو كان موسى في زمني ما وسعه إلاّ اتّباعي.»[1]

فصل
في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾

هذا النور هو النّور المحمّدي الكاشف لحقائق الأشياء كما هي، والغاية المترتّبة على وجود السابقين الأوّلين من الأنبياء؛ لأنّه بذر طوبى عالم الإمكان الذي غرسه يدالرحمان، و الثمرة الحاصلة من شجرة وجود الأرض والسماء، والصراط المستقيم إلى حضرةالربّ ـتعالى ـ وفطرة الله التي فطر الناس عليها، فالخلق مفطورون بقبول النور المحمّدي، و النفوس مجبولة على طاعة الشريعة النبويّة للوصول إلى المقام المحمود، إذا لم يطرءالضلال عن سلوک الطريق والغواية عن الذهاب إلى الغاية المقصودة.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أوّل ما خلق الله نوري».[2] وعنه أيضاً: «إنّ الله خلق آدم على صورةالرحمان»،[3] أي الحقيقة المحمّديّة خلقها على صورة اسم«الرحمان»كما خلق ابليس من صورة اسم«المنتقم».

وعنه ايضاً:

---

١. معاني الأخبار، ص٢٨٢ و فيه «لو كان موسى حيّاً...»؛ بحارالأنوار، ج٢، ص٩٩، ح٥٤ و ج١٦، ص٣٦٦؛ الدعوات للراوندي، ص١٧٠؛ فتح الباري، ج١٣، ص٤٣٧.

٢. ينابيع المودّة، ج١، ص٤٥، ح٤؛ بحارالأنوار، ج١٥، ص٢ به بعد؛ راجع الروايات الواردة في بدء خلقه«ص».

٣. بحارالأنوار، ج٤، ص١٢، ح٦؛ البخاري، ج٤، ص٦٢؛ مسند أحمد، ج٢، ص٢٤٤، و فيه«إنّ الله خلق آدم على صورته»؛ مجمع الزوائد، ج٨، ص١٠٦؛ فتح الباري، ج٥، ص١٣٣؛ كنزالعمّال، ج١، ص٢٢٧.

إنّ الله خلق نوري من نور عزّته، وخلق نور إبليس من نار عزّته

وللإشعار بأنّ الرّوح النبوي الختمي ﷺ ليس من جنس سائر الأرواح. قوله ﷺ: «لست كأحدكم، أبيت عند ربّي، يطعمني ويسقيني».[1]

فانظر يا مسكين وتنبّه، إنّ من كان أدنى أحواله وأنزلها كالبيتوتة والطعم والشرب واقعة منه عند الربّ ـ تعالى ـ كيف يكون من جنس من لا يكون أشرف أحواله مثل المعرفة والفكر حاصلة عنده؟ فإنّ الجسمانيّات والنفوس الأرضيّة بل النفوس السماويّة أيضاً بمراحل عن أن يصعد أعمالها إلى عالم الالهية.

وأمّا الروحانيّات العقليّة فهي متفاوتة في القرب والبعد، وما يصل إلى الله ويقع مقبولاً عنده ـ تعالى ـ بلا واسطة لا يكون إلّا الطاعات المحمّديّة و العبوديّة الأحمديّة من أنوار المعارف الإلٰهية الفائضة على ذاته النيّرة من غير وساطة أحد، فلا يكون طاعة غيره ﷺ مثل طاعته إلّا بنور متابعته ووساطته ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾.[2]

تذكرة

قال سهل بن عبد الله التستري وشيبان الراعي:

إنّا سمعنا من الخضر عليه السلام أنه قال: خلق الله نور محمّد من نوره، فصوّره وصدّره على يده، فبقي ذلك النور بين يدي ـ تعالى ـ مأة ألف عام، فكان يلاحظ في كلّ يوم وليلة سبعين ألف لحظة ونظرة يكسوه في كلّ نظرة نوراً جديداً وكرامةً جديدةً، ثمّ خلق منها الموجودات كلّها».[3]

وفيه إشارة إلى صدور الكائنات وصورها وآثارها كلّ لحظة عدداً غير محصور بتوسّط نور وجود الإمكان الأشرف والجهة المحمّديّة والفيض الأقدس الذي هو بذر الموجودات وسببها الذاتي الفاعلي المتقدّم، وثمرة شجرة الممكنات وسببها الغائي المتأخّر، فهو الأوّل والآخر لكونه لبّ الألباب وللوجود خاتمة الكتاب.

١. مسند أحمد، ج٢، ص٢٣٧.
٢. النور(٢٤): ٦٣.
٣. تمهيدات، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

تمثيل عرشي

فانظر أيّها العارف في حكمة الصانع البديع، وجود النافع المنيع الرفيع كيف بدأ بالعقل وختم بالعاقل، وبينهما أمور متفاضلة متواصلة.

فالعقل الأوّل بذر العقلاء ومبدأ الفضلاء، وما عداه من العقول المتقدّمة على الأجسام سيقانه، والنفوس الكليّة أغصانه، والأجرام الفلكيّة عروقه وأفنانه، والبسائط العنصرية أوراقه، والنفوس الأرضيّة أزهاره، والنفوس الآدميّة نفائس أثماره، والعقول المستفادة لبوب حبوبه وأنواره، والروح المحمّديّ لبّ ألبابه ودهنه وضوء سراجه.

فاعلم ما ذكر وتحقّق ما تلي عليك وتدبّر ولا تحمله على المجاز الشعري بل على التحقيق السّري، واتل قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾[1] و امتثل أمره فيما يقول: ﴿**كونوا ربانيّين**﴾[2] وإن لم يقدر على ذلك بنفسك، فاستفده من غيرك، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن.

قال بعض العرفاء في مناجاته:

«إلٰهي ما الحكمة في خلقي؟ فألهمه الله في الجواب بقوله: إنّ الحكمة في خلقك رؤيتي في مرآة روحك، ومحبّتي في قلبك».[3]

فما أعظم رتبة العبد المؤمن وما أجلّها حيث يصير صفحة قلبه مرآة لوجه الحقّ، متى أراد أن يتجلّى ذاته لذاته نظر إلى قلب المؤمن.

وقد ورد في الخبر: «إنّ لله في كلّ يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة إلى قلب المؤمن».[4]

ويؤيّد ذلك قوله ﷺ: إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و نيّاتكم.[5] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ألم يعلم بأنّ الله يرى**﴾.[6] وقد ورد في الحديث القدسي أنّه

---

١. السجدة (٣٢): ٥.

٢. آل عمران(٣): ٧٩.

٣. تمهيدات، ص٢٧٢.

٤. نفس المصدر والصفحه، وفي نيل الأوطار هكذا: «إنّ للّه في كلّ يوم ثلاثمائة نظرة و لاينظر فيها إلى صاحب الشاه»[نيل الأوطار للشوكاني، ج٨، ص٢٥٩ و«الشاه»يعنى الشطرنج].

٥. فتح الباري، ج٧، ص١٦٦؛ بحارالأنوار، ج٦٧، ص٢٤٨، ح٢١؛ طبع بيروت؛ و في مسند أحمد، ج٢، ص٢٨٥ و ٥٣٩: «إنّ الله لاينظر إلى صوركم و أموالكم، ولكن إنّما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم».

٦. العلق(٩٦): ١٤.

قال ـ تعالى ـ : «كنت كنزاً مخفياً... ، فخلقت الخلق لكي أعرف» . [1]

وهذه الثمرة للخلق والإيجاد ـ وهي معرفة الله ـ إنّما يتحقّق في العبد المؤمن أي العارف لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون**﴾[2] أي : ليعرفون . وقد ثبت أنّ الإنسان العارف غاية إيجاد الأفلاك والعناصر والمركّبات ، لقوله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي[3] « لولاك لما خلقت الأفلاك» ، [4] ويؤيّد ذلك قوله ـ سبحانه ـ : ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ ، [5] وقوله : ﴿**ألا إنّهم في مرية من لقاء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط**﴾ . [6]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱ . بحارالأنوار ، ج ۸۴ ، ص۱۹۹ ، ح۶ ، طبع بيروت .

۲ . الذاريات (۵۱) : ۵۶ .

۳ . مناقب آل أبي طالب ، ج۱ ، ص۱۸۶ ؛ ينابيع المودّة لذوي القربى ، ج۱ ، ص۲۴ .

۴ . قال المحدّث القاوقچي في «اللؤلؤ الموصوص» ، ص۶۶ : حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك» لم يرد بهذا اللفظ بل ورد «لولاك ما خلقت الجنّة» و «لولاك ما خلقت النار» ، وعند إبن عساكر «لولاك لما خلقت الدنيا» . [شرح إحقاق الحقّ ، ج۱ ، ص۴۳۰ .

۵ . الأنعام(۶) : ۱۰۳ .

۶ . فصّلت(۴۱) : ۵۴ .

تنبيه وإشارة

لک أن تفهم من هذه الأسرار أنّ إدراک ذات الحقّ ـ تعالى ـ بعلم مستأنف لا يمكن لأحد إلّا في مرآة قلب المؤمن المتّقي، ولهذا بنى العالم وخلق الكون وأبدع النظام لقوله ـ تعالى ـ: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّک أنّه على كلّ شيء شهيد﴾**،[1] وقوله ـ تعالى ـ: **﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾**[2]

وممّا ينوّر أيضاً بما ذكرناه قوله ﷺ: «من رآني فقد رأى الحقّ»[3] وقوله ـ سبحانه ـ: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**،[4] وفي الحديث عنه ﷺ: «واشوقاه إلى لقاء إخواني من بعدي»،[5] وفيما رواه كميل بن زياد عن أميرالمؤمنين عليه السلام مثل ذلک في كلام طويل[6] وقول النبي ﷺ: «أدّبني ربيّ فأحسن تأديبي»،[7] يشير إلى ذلک، وفي قوله ـ سبحانه ـ: **﴿ونفخت فيه من روحي﴾**،[8] تنبيه بليغ عليه، وكذا في قوله تعالى: **﴿ وحملها الإنسان ﴾**[9]

وفي رموز بعض أصحاب القلوب في تفسير قوله تعالى: «كنت كنزاً مخفيا...»: «العبوديّة بغير الربوبية نقصان وزوال، والربوبية بغير العبودية محال».[10]

ومن الإشارات إلى هذا المقصد قوله ـ تعالى ـ: **﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها**

---

۱. فصلت (۴۱): ۵۳.

۲. الذاريات (۵۱): ۲۱.

۳. صحيح البخاري، ج۹، باب التعبير، ص۴۳؛ كنز العمّال، ج۱۵، ص۳۸۱؛ بحارالأنوار، ج۵۸، ص۲۳۵، ح۱.

۴. النساء (۴): ۸۰.

۵. التحصين لابن فهد الحلّي، ص۲۳.

۶. راجع نهج البلاغه، ص۴۹۷، الحكمة۱۴۷، من طبع صبحي الصالح.

۷. بحارالأنوار، ج۱۶، ص۲۱۰؛ كنز العمّال، ج۱۱، ص۴۰۶، ح۳۱۸۹۵، الجامع الصغير، ج۱، ص۱۴.

۸. الحجر (۱۵): ۲۹.

۹. الأحزاب (۳۳): ۷۲.

۱۰. تمهيدات، ص۲۷۵.

وأهلها﴾، [1] ومنها قوله ـ تعالى ـ : ﴿**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنـّة**﴾، [2] ومن التأييدات اللّطيفة لهذه الدعوى قوله ـ تعالى ـ : ﴿**إنّه كان ظلوماً جهولاً**﴾، [3] وقوله : ﴿**إنّ الإنسان لفي خسر إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾، [4] إذ قد علم من جميع ذلک، أنّ اللائق بنظر الحقّ وشهوده إنّما هو معرفة الحقّ، لا الإنسان ولا غيره من موجودات عالم الإمكان، وإلّا فما للتراب وربّ الأرباب.

وقريب من هذا ما قاله بعض المحقّقين من الحكماء:

«إنّ القائل بأنّ الواجب موجود والعاقد لهذه القضية من عالم الإمكان ليس هو ذهن من الأذهان، بل نحو من أنحاء البرهان».

فانظر إلى قوله : ﴿**والنجم إذا هوى* ماضلّ صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلّا وحي يوحى* علـّمه شديد القوى**﴾، [5] وقوله : ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى* ماكذب الفؤاد ما رأى**﴾. [6]

كشف حال لتحقيق مقال

يا وليي أنظر إلى التفاوت بين مرتبة موسى عليه السلام وبين مرتبة سيّدنا ونبيّنا صلى الله عليه وآله، فإنّه خرّ مغشياً عليه عند ملاحظة التجلّي الواقع على الجبل ﴿**فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكـّاً وخرّموسى صعقاً**﴾، [7] ثمّ تاب واستغفر من طلب ما لايسع له درجته ووقته، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حكى أنّه في ليلة المعراج وضع الله يده على كتفي، فوجدت برد أنامله بين ثديي. [8]

و هذا الحديث ممّا يدل دلالة واضحة على عشقه ـ تعالى ـ لحبيبه، وإن كنت في

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

١. الفتح (٤٨): ٢٦.
٢. التوبة (٩): ١١١.
٣. الأحزاب (٣٣): ٧٢.
٤. العصر (١٠٣): ٢.
٥. النجم (٥٣): ١-٥.
٦. النجم (٥٣): ١٠-١١.
٧. الأعراف (٧): ١٤٣.
٨. عوالي اللئالي، ج١، ص٥٢، ح٧٦؛ مسند أحمد، ج١، ص٣٦٨، وج٥، ص٣٧٨؛ وأيضاً جاء ما يقرب منه في الترمذي، ج٥، ص٣٦٧، كتاب التفسير، باب٣٩.

ريب ممّا ذكرنا فاضمم إليه ما سمعته من حديث : «أبيت عند ربّي»[1] وحديث «من رآني»[2] وسائر ما نقلناه في هذا الباب ليظهر لک حقيقة مقامه وحقيّة كلام أخيه وابن عمّه، ومساهمه في همه وغمّه، ومشاركه في حظّه وقسمه، ووارث حوضه وباب مدينة علمه ، حيث قال ـ سلام اللّه عليهما وآلهما ـ : «رأى قلبي ربّي»،[3] وقوله أيضاً : «ما نظرت إلى شيءإلّا ورأيت الله فيه»امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**ألم تر إلى ربّک كيف مدّ الظل**﴾.[4]

إشارة

اعلم أيّها الحبيب أنّه لا يعرف قدر النور إلّا النور، بل كلّ مرتبة منه لا يعرفها إلّا الواقع في جنس تلک المرتبة، فالنور الحسيّ يدرک النور الحسيّ، والنفسي النفسي، والعقلي العقلي، فلا يدرک نور الكواكب إلّانور البصر، ولا نور المحسوسات إلّا أنوار الحواسّبشرط فنائها عن كيفيّاتها المختصّة بها.

فالقوّة اللمسيّة من جنس الكيفيّات الأربعة التي هي أوائل الملموسات إلّاأنّها معتدل متوسّط بينها، وقد علمت أنّ المتوسّط بين الأطراف بمنزلة الخالي عنها، فلذلک تقبلها وتدركها وتحسّ بها، وكذا الرّطوبة اللّعابيّة الفائضة في جرم اللّسان ممّا لا طعم له في نفسه، لكن من شأنها أن يتكيّف بكيفيّة ذي الطعوم، فيدركها القوّة الذوقيّة المساويّة نسبة حاملها إلى الطعوم، مع كونه واقعة في جنس الكيفيّات الطعميّة، وقس عليه سائر الحواسّ والمدارک، وهلمّ إلى عالم العقل والمعقول وما فوقه، وفي المثل : «لا يحمل عطايا الملوک إلّا مطايا الملوک»[5]لايعرف الله غيرالله.

و سأل بعض المشايخ : «ما الدليل على الله؟فقال : دليله هو الله».[6]

وسأل العلاّمة الرازي، فخر الدين عن الشيخ العارف نجم الدين : بم عرفت ربّک؟ فقال : بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها . ثمّ وراء العقل علم، يدقّ عن

١. مناقب آل ابي طالب، ج١، ص١٨٤؛ شرح مائة كلمة لابن ميثم البحراني، ص٥٠؛ فتح الباري، ج٤، ص١٨٠.
٢. صحيح البخاري، ج٩، ص٤٢، كتاب التعبير(٩١)، باب١٠، حديث٦٩٩٦و ٦٩٩٧؛ كنزالعمّال، ج١٥، ص٣٨١؛ بحارالأنوار، ج٥٨، ص٢٣٥، ح١.
٣. جامع السعادات، ج١، ص١٢٨.
٤. الفرقان(٢٥): ٤٥.
٥. تمهيدات، ص٢٨٢.
٦. نفس المصدر، ص٢٨٣.

مدارک غايات العقول السلمية .

وقال بعض المحقّقين :

«دليل معرفة الله للمبتدي عشقه وإرادته ، إذ هما ينبعثان عن معرفة مّا وإن كانت قليلة ضعيفة ، نسبتها إلى المشاهدة التامّة نسبة البذر إلى الثّمرة ، فالمحرّک للقلوب إلى الحقّ ـ تعالى ـ هو ذاته ـ تعالى .

«لا أحصي ثناء عليک ، أنت كما أثنيت على نفسک» .[1] قال بعض المشايخ : إنّ الله ـ تعالى ـ أوحى إلى رسول الله ﷺ ليلة المعراج ، يا محمّد كنت دائم الأوقات ناظراً ومستمعاً ، فأنا الليلة سامع وناظر ، وأنت القائل ، والمنظور إليه[2] ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾[3]

فصل

في شرح ماهيّة الإنسان الكامل ، والعالم الصغير ، ومظهر اسم الله الجامع لمظاهر الأسماء كلّها

وهو خليفة اللّه في أرضه ، ومثال نور الله في سمائه ، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ، قال اللّه ـ سبحانه ـ : ﴿ **وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانک لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّک أنت العليم الحكيم** ﴾[4]

ليس من الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد[5]

واعلم أنّ كلّ موجود من الموجودات التفصيليّة التي هي أجزاء هذا العالم مظهر اسم خاصّ من أسماء الله ـ تعالى ـ ، فكما أنّ أجزاء العالم فيها أجناس وأنواع وأشخاص ، و جواهر وأعراض ، والأعراض كمّ وكيف ومتى وأين ووضع وإضافة وفعل وانفعال وملک ، فكذلک في الأسماء الإلٰهية أسماء جنسيّة ونوعيّة ، وجوهريّة وعرضيّة ، كميّة وكيفيّة وغيرها حذو القذ بالقذ ، وكذلک في الإنسان الكامل والمظهر الجامع يوجد جميع مايوجد في عالم الأسماء و في مظاهرها الآفاقيّة .

١ . عوالي اللئالي ، ج٤ ، ١١٤ ، ح١٧٦ ؛ مسند أحمد ، ج١ ، ص٩٦ ؛ سنن ابن حاجة ، ج٢ ، ص١٢٦٣ ، ح٣٨٤١ .
٢ . تمهيدات ، ص٢٧٧ .
٣ . النجم(٥٣) : ١٠ .
٤ . البقرة(٢) : ٣١ـ٣٢ .
٥ . مختصر المعاني ، ص٣٠٦ .

فكما أنّ الأسماء كلّها، بحسب معانيها التفصيليّة، مندمجة في معنى اسم «الله» مجملة، فكذلك حقائق مظاهرها التي هي أجزاء العالم الكبير الآفاقية مجتمعة في مظهر اسم الله الذي هو الإنسان الكامل والعالم الصغير باعتبار، والكبير بل الأكبر باعتبار آخر، وهواعتبار إحاطته العلميّة المنبعثة عن معدن علم الله بجميع الموجودات ومباديها وأسبابها وصورها وغاياتها، كما أشارإليه أمير المؤمنين وامام العارفين ورئيس الموحّدين عليه السلام:

«وأنت الكتاب المبين الذي ... بآياته يظهر المضمر

وتزعم أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر»[1]

فنقول: في تبيين ما ذكرناه من المقدّمات وتوضيح ما ادّعيناه من الحكايات:

أمّا أنّ كلّ ممكن من الممكنات مظهر اسم خاصّ، فلأنّ المناسبة يجب أن تكون ثابتة بين المفيض والمفاض عليه، فتعدّد الكمالات وكثرة صور المعلومات يدلّ على تحقّق تلك المعاني الكماليّة والخيرات في أسبابها وعللها على وجه أعلى وأتمّ، من غير لزوم تكثّر وتجسّم في علّتها الأولى ـ كما ثبت في الحكمة المتعالية ـ.

وليس المراد من كلّ اسم من أسماء الله إلّا ذاته ـ تعالى ـ مأخوذة مع صفة خاصّة من الصفات الكماليّة أو الإضافيّة أو السلبيّة كالحيّ و القادر و القدّوس، فذاته تعالى متّصفة بجميع الصفات الحسنة الكماليّة ومنزّهة عن جميع النقائص والمثالب والعيوب، وله الإضافة القيوميّة إلى كلّ ماسواه.

فبملاحظة اتصافها بما هو من قبيل الأوّل منشأ الأسماء الجماليّة اللطفيّة الثبوتيّة، وبملاحظة تقدّسها عمّاهو به من قبيل الثاني منشأ الأسماء الجلاليّة القهريّة السلبيّة، و بملاحظة إشراق نوره وشهوده وافاضة جود وجوده على الموجودات منشأ الأسماء الإضافيّة التعلّقيّة. ولمّا وجب تحقّق المناسبة بين المفيض والمفاض عليه، فكلّ ما كان أشدّ مناسبة كان أقرب في درجة المعلوليّة. وكلّ فاعل حقيقيّ للممكنات فهو علّة غائيّة أيضاً ـ كماحقّق في موضعه ـ، فيجب أن يكون الصادر منه في سلسلة بحسب القرب والبعد النزولي صاعداً إليه في سلسلةأخرى بحسب البعد و القرب الصعودي.

وهذا أمر ظاهر بحسب الاستقراء التامّ في كلّ جملة إمكانية صادرة عن فاعل طباعي لأجل غاية ذاتيّة. وله بيان تفصيلي يحتاج إلى استقصاء مباحث العلّة والمعلول، وأحكام

---

١. نقد النصوص في شرح نقش الفصوص للجامي، ص٩٢، طبع إيران، سنه ١٣٥٦ ش. وفيه «بأحرفه» بدل «بآياته».

العلّة الغائيّة التي مرجعها إلى تحقّق العلّة الفاعليّة على الوجه الأكمل الأتمّ، سواء كانت العلّة الغائيّة متأخّرة في الوجود عن العلّة الفاعليّة ـ كما فيما تحت الكون ـ أم تكونان ذاتاً واحدة ـ كما فيما فوق الكون.

فإذا تقرّر هذا فأشرف الموجودات الصادرة عنه ـ تعالى ـ في سلسلة الابتداء هو العقل الأوّل والممكن الأشرف، ثمّ الأشرف فالأشرف إلى الأخسّ فالأخسّ حتّى انتهت نوبة الوجود إلى الأجسام ـ وهي موادّ الصنايع الإلٰهية بمنزلة قطع الخشب للنجّار ـ ثمّ يبتدئ منه الاستكمال بالصور والارتقاء إلى غاية الكمال، فيتصوّر بصورة بعد صورة وبهيئة بعد هيئة كالصّور والهيئات المترادفة على الخشب بفعل التشكيلات والتخطيطات المتواردة عليه من صنع النجار، فيتعاقب الصور على الموادّ بحسب تكامل الاستعداد من الأخسّ فالأخسّ إلى الأشرف فالأشرف، والبرائة عن النقص والفتور، والتجرّد عن الدثور والقصور إلى العقل المستفاد المتّصل بالعقل الفعّال، وهو أعلى مرتبة الوجود في العالم الإمكاني لكونه مشتملاً على صور جميع الموجودات ـ عقليّة وحسيّة ـ، من حيث ذاته ونفسه وحسّه و جسمه، كما سنشير إليه.

فبالعقل المستفاد عاد الوجود إلى المبدأ الذي ابتدأ منه وارتقى إلى ذروة الكمال بعد أن هبط منها ﴿**كما بدأنا أوّل خلق نعيده**﴾[1] وكما أنّ العقل الأوّل مشتمل على جميع ماصدر منه ـ من الخيرات والوجودات والصور والهيئات بحسب الفطرة الأولى ـ فهذا العقل الأخير الذي وقع بازائه، بل يكون عينه بوجه ـ كما أدّى إليه نظر الواغلين في الرياضة والبرهان الممعّنين في التجرّد والإيمان ـ مشتمل على جميع ذلک بحسب التحصيل والاكتساب للفطرة الثانية الوجوديّة المطابقة للفطرة الأولى العلميّة القضائيّة.

وهذا مفاد قول فاضل الفلاسفة أرسطا طاليس: «من أراد الحكمة فليستحدث لنفسه فطرة ثانية»، فإنّ الحكمة عندهم هي التشبّه بالاله بحسب الطاقة البشريّة، وهي إنّما يحصل بحصول العقل الفعّال.

دقيقة إلهاميّة

وهاهنا دقيقة أخرى لايقدر جماهير الفضلاء أن يدركها ـ فضلاً عن غيرهم من إسراء الوهم والخيال ـ وهوأنّ العقل الفعّال مع أنّه فاعل متقدّم على غيره من الممكنات، فهو

١. الأنبياء(٢١): ١٠٤.

بعينه ثمرة حاصلة من وجوداتها المترتبّة في الاستكمال والارتقاء إلى الكمال، وهذا أعجب العجائب مع أنّه حقّ لامرية فيه لهذا الفقير المنكسر البال، المتشوّش الحال.

إنارة تذكيريّة

إنّ أسماء الله ـ تعالى ـ مشتملة على جميع المعاني المنطقيّة والعينيّة، وجميع الحقائق الجوهريّة والعرضيّة، وكما أنّك إذا نظرت في حقائق الأشياء وجدت بعضها متبوعة مكتنفة بالعوارض، وبعضها تابعة، فنقول على المتبوعة إنّها الجواهر وعلى التابعةإنّها الأعراض.

فاعلم أنّ معنى الجوهريّة باعتبار اشتراك الجواهر فيه واتحادها في عين جمعه مظهر الذات الإلٰهيّة من حيث قيّوميّتهاوتحقّقها بذاتها، وأنّ الأعراض حسب اختلافها واشتراكها في مفهوم العرضيّة العارضة لها مظاهر للصفات التابعة للذات مع اشتراكها في كونها صفة تابعة لها من حيث المفهوم والمعنى، وإن كان الوجود واحداً للذات والصفات.

ثمّ كماأنّ حقيقة الجواهر لايزال مكتنفة بالأعراض فكذلک الذات الإلٰهيّة محتجبة عن غيره بالأسماء والصفات، وكما أنّ الجوهر مع انضمام صفة من الصفات، يصير جوهراً خاصاً مظهراً لاسم خاصّ، فكذلک الذات الإلٰهيّة مع اعتبار صفة خاصّة اسم خاصّ من الأسماء الكليّة أو الجزئيّة.

وكماأنّ الصفات المخصّصة للجواهر ـ كالفصول وغيرها ـ بعضها أعمّ وبعضها أخصّ كالفصول البعيدة والقريبة وتوابعهما، حتّى يصير الجوهر بتضمينهاأو انضمامها جنساً خاصّاً أو نوعاً، فكذلک من الصفات الإلٰهيّة ما هي أعمّ وأكثر حيطة، ومنها ما هي أخصّ وأقلّ حيطة، فيكون الاسم الحاصل من انضمام ماهي أعمّ بمنزلة الجنس للاسم الحاصل من انضمام ما هي أخصّ. و هذا بمنزلة النوع، مثال ما هو بمنزلة الجنس لما هو بمنزلة النوع، «العالم»بالقياس إلى السميع و البصير.

وكما أنّ من اجتماع الجواهر البسيطة يتولّد جواهر أخر مركبة كذلک يتولّد من اجتماع الأسماء الكليّة أسماء أخر.

وكماأنّ الجوهر قديكون نوعاً بسيطاً في الخارج مركّباً في العقل بحسب التحليل الذهني كالعقل والنفس وغيرهما، وقديكون مركّباً خارجيّاً من أجزاء معنوية وجودية ـ كالمادّة والصّورة ـ أو من أجزاء متخالفة الطبايع ـ كالمركّبات المعدنيّة والنباتيّة والحيوانيّة ـ فكذلک

في أنواع الأسماء ما هو بسيط عيني ذاحدّ تفصيلي كـ«الحيّ» ، فإنّ مفهومه مركّب من الدّراك الفعّال وما هو مركّب كـ«الحيّ القيّوم» .

وكما أنّ كليّات الجواهر والأنواع منحصرة فكذلك كليّات الأسماء منحصرة .

وكما أنّ أشخاص الجواهر غير متناهية فكذلك فروع الأسماء غير متناهية ، فكماأنّ الجملة مشتركة في طبيعة واحدة وجوديّة ؛ لأنّ الوجود الممكني حقيقة واحدة وهي المسمّى بالنفس الرحماني ، والهيولى العقليّة الكلّية الحاملة لصور الجواهر العقليّة والحسيّة وحقائقها كذلك الأسماء الكليّة يشملها ذات واحدة إلٰهيّة جامعة لجميع الأسماء على اختلاف معانيها .

ثمّ لمّا كانت التجلّيات الإلـٰهيّة المظهرة للصفات المتكثّرة بحكم : ﴿**كلّ يوم هو في شأن**﴾[1] غير متناهية ـ مع تناهي ضوابطها المتكرّرة الوقوع ـ صارت الأعراض متكثّرة غير متناهية ، وإن كانت الأمّهات متناهية ، وكما أنّ أمّهات الأعراض منحصرة في تسع مقولات كذلك في أمّهات الصفات وكليّاتها توجد معان يناسبها تلك المقولات .

فكلّ ما في الوجود دليل و آية على ما في الغيب فـ« القيّوم »مناسب للجوهر و« القدّوس» للأنواع المجرّدة منه ، و«المصوّر»للصور الجوهريّة ، و«الأوّل والآخر »يناسب مقولة متى ، و «الرافع والخافض»يناسب مقولة أين ، و«المتقدّم والمتأخّر»لمقولة الوضع ، و«المحصي» للكمّ المنفصل ، و«الكبير والعظيم والباسط»للكمّ المتّصل ، و«السميع والبصير»للكيف النفسانيّ ، و«العليّ الأعلى»للإضافة ، و«مالك الملك»للجدة ، و«المبدع»للفعل ، و«قابل التوب»للانفعال .

وعند الاستقصاء يظهرأنّ كلّ معنى من المعاني الموجودة في العالم الشهادة يكون ظلّاً دالاً على مافي غيب عالم الأسماء ، ثمّ في غيب عالم القضاء الإلٰهي أعني القلم العقلي ، ثمّ في عالم القدر النفساني أعني لوح العلوم القضائيّة المسمّى بـ« أمّ الكتاب » ، ثمّ في عالم الألواح السماويّة ونفوسها الانطباعيّة الخيالية المسمّى بـ«كتاب المحو والإثبات » و «الدفتين الزمردتين »لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**يمحوالله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب**﴾ .[2]

---

١ . الرحمن(٥٥) : ٢٩ .

٢ . الرعد(١٣) : ٣٩ .

هداية

قدانكشف لک ودريت مـمّا سرد عليک أنّ هذه العـوالم كلّها كتـب إلٰهـيّة وصحائـف رحمانيّة، لإحاطتها بصور الحقائق والمعاني، واشتمالها على الأرقام والخطوط الدالّة على المحامد السبحانيّة، والاثنيّة الربانيّة، يتلوها القاري العارف بقوّة فكره وصفاء سرّه وسلامة طبعه عن كـدورات هذه التعـلّقات، وتجرّد ذهنـه وجلاء عينه عن علـوق هذه الغشـاوات، فيطالع ما فيها، ويتدبّر في معانيها ويرتقي من بعضهاإلى بعض، حتى يصل إلى منشئها و راقمها و مملّيها و ناظمها قائلا: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير**﴾.[1]

كلمة جامعة

الإنسان الكامل كتاب جـامع لآيـات ربّه القـدّوس، وسجلّ مطـويّ فيه حقائق العـقـول و النفوس، وكلمة كاملة مملّوة من فنون العلوم والشجون، ونسخة مكتوبة من مثال﴿**كن فيكون**﴾، بل أمر وارد من«الكاف والنون»لكونه مظهر اسم الله الأعظم الجامع لجميع الأسماء.

فمن حيث روحـه وعقله قلم مقدّس مسـمّى بـ«أمّ الكتاب»لكونه مشتمـلاً على معظم الحقائق العقليّة الكليّة على الوجه المقدّس العقلي، ومن حيث قلبه الحقيقيّ ـ أعني نفسه الناطقة ـ كتاب اللوح المحفوظ لكون نقوشه محفوظة أبداً بحفظ قلمه الكاتب لهذه الأرقام، الفعّال للمعقولات التفصيليّة في لوح قلبه، ومن حيث نفسه الحيوانيّة الممثّلة للصور المثالية كتاب المحو والإثبات، ومن حيث طبعه الجسماني القائم باللطيفة البخاريّة المشابه لجرم السماء القابل لأنوار الحواسّ والضياء«دفتر جسماني»و«سجلّ هيولاني».

والغرض في إيجاده وتكوينه لمجرّد المشق والحساب، كالتخت والتراب لفائدة التمرّن لطفل النفس قبل أن يبلغ مقام الرجال، مثل لوح الأطفال، ولهذا ممّا يمحو ما فيه وينطوي سريعاً لكونه من جنس كتاب الفجّار، الملقى في النـار. وأمّا ما سـواه من الكتب الأربعة الأصـول فهي كـلّهـا صـحـف مـرفوعة مـطـهّـرة بأيدي سفـرة، كـرام بررة،[2] باقيـة إلـى يـوم الدين، لايمسّها إلّا المطهّرون[3] من الحجب الجسمانية، لكونها في علّيّين ﴿**وما أدراك ما**

١. الاسراء(١٧): ١.

٢. الاتخاذ من هذه الآية: ﴿في صحف مكرّمة*مرفوعة مطهّرة* بأيدي سفرة*كرام بررة﴾(عبس(٨٠): ١٦-١٣).

٣. الاتخاذ من هذه الآية: ﴿إنّه لقرآن كريم*في كتاب مكنون*لايمسّه إلا المطهّرون﴾(الواقعه (٥٦): ٧٩-٧٧).

عليّون*كتاب مرقوم*يشهده المقرّبون﴾ .[1]

وهذا الكتاب الأخير المحاذي لصورة السماء، محترقة أوراقها بنار الطبيعة كماأنّ سجلّ دورات السماء مطويّة يوم القيامة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب**﴾، [2] ولكن بمقتضى ﴿**كما بدأنا أوّل خلق نعيده**﴾ يعاد مثله يوم القيامة ويحشر، وهو البدن الأخروي، المنبعث من هذا البدن الداثر الدنيوي، المقبور بعد الموت، ويبقى كتابه يوم القيامة، وهو الكتاب الذي أشير إليه بقوله: ﴿**وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً* اقرأ كتابک كفى بنفسک اليوم عليک حسيباً**﴾[3] وهو الكتاب المنقسم إلى كتاب الفجّار ـ الذي يلقى في النار ـ وإلى كتاب الأبرار الذي يأتي آمناً يوم القيامة لقوله: ﴿**أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة**﴾[4] وهما المشار إليهما بقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين**﴾[5] وقوله: ﴿**إنّ كتاب الأبرار لفي عليّين**﴾.[6]

نورجمعيّ ومظهر جامع إلٰهيّ
[في تشريح مراتب العالم الإنساني وأسمائه]

قد وقعت الإشارة إلى أنّ الإنسان الكامل كلمة جامعة وأنموذج مشتمل على ما في الكتب الإلٰهيّة التي كلّها أنوار مكتوبة بيد الرحمان، منقوشة على صحائف الأكوان، مستورة عن أعين العميان.

كما أنّ الروح الأعظم جامع لجميع ما في العالم الكبير، لكونه مبدأ الكلّ وصورة الكلّ وغاية للكلّ وبذر العقول والنفوس، وثمرة شجرة الأفلاک وما فيها من أنوار المعقول و المحسوس، فالآن نريد أن نشرح لک مراتب العالم الإنساني وأسمائه، ونبيّن أنّ الروح الإنساني والعقل الأخير الربّاني في درجة القرب عندالله في عالم العود والصعود مماثل للروح الأعظم والعقل الأوّل القرآني في عالم البدو والنزول، وسلطانه يوم القيامة ويوم العمل كسلطان الروح الأعظم يوم الأزل، لاشتمال كلّ منهما على جميع المراتب

---

۱. المطفّفين (۸۳): ۱۹ـ۲۱.
۲. الأنبياء(۲۱): ۱۰۴.
۳. الاسراء(۱۷): ۱۳و۱۴.
۴. فصّلت(۴۱): ۴۰.
۵. المطفّفين (۸۳): ۷.
۶. المطفّفين(۸۳): ۷.

الوجوديّة . بل العقل الأوّل والروح الأخير ـ وهو الحقيقة المحمّديّة ـ ذات واحدة ظهرت مرّتين : مرّة في الإدبار إلى الخلق لتكميل الخلائق ، و مرّة في الإقبال إلى الحقّ ـ تعالى ـ لشفاعتهم لقوله ﷺ : « أوّل ما خلق الله نوري »[1] وقوله عليه السلام

«أوّل ما خلق الله العقل ، قال له : أقبل ، فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر ، فأدبر ، قال : فبعزّتي و جلالي ماخلقت خلقاً أعظم منك ، بك أعطي وبك آخذ ، وبك أثيب ، وبك أعاقب» .[2]

ورواه الشيخ الجليل أمين الإسلام ، ثقة المحدّثين ، محمّد بن يعقوب الكليني في أوّل كتاب العقل من كتب *الكافي* ، وهو حديث متّفق على صحّته الجميع .

فكما أنّ الروح الأعظم مشتمل على جميع الممكنات علماً وعيناً ، فكذا هذا الإنسان الكامل وخليفة الله في السماوات والأرض .

أمّا اشتمال الروح الأعظم عليها علماً ، فلما مرّ من أنّه قلم الحقّ الأوّل الناقش لصور الحقائق على وجه مقدّس عن الكثرة والتفصيل ، ثمّ الكاتب لأرقام الأسرار على ألواح الأقدار ، ولأنّ اللوح المحفوظ بما فيه من الأرقام والنقوش صادر عنه وحاضر لديه ، فهو مطالع لما فيه مطالعة العقل للأفكار الناشية منه ، المرتسمة في لوح النفس ، ثمّ في لوح الخيال والحسّ .

وكذلك حكم سائر المشاعر الكليّة والمدارك الفلكيّة والألواح القدريّة بما فيها من الأرقام المثالية ، والنفوس الجزئيّة الخياليّة الحاصلة في النفوس المنطبعة السماويّة وكذا الصور الأرضيّة المنقوشة على الألواح الهيوليّة ، إذ كلّها صادرة منه بإذن ربّه ، حاضرة عنده ، يشاهدها بنور ربّه الذي ينوّر به السماوات والأرض .

وأيضا كلّ واحد من الجواهر العقليّة والنفسيّة ، والصّور السماويّة الحسيّة ، والأنوار القمريّة والشمسيّة عيون ناظرة ، ومدارك ساطعة ، ومرائي مجلوّة ، يدرك بها الأشياء وينال بها ما في عالم الأرض والسماء .

وأمّا اشتماله عليها عيناً ؛ فلأنّ ذاته صورة الكلّ ، كما أنّه فاعلها وغايتها . والصورة في كلّ حقيقة تركيبيّة وماهيّة نوعيّة هي تمام تلك الماهيّة ، أوَ لاترى أنّ السرير سرير بهيئته المخصوصة ، لابمادّة الخشبيّة الإبهاميّة ، والحيوان بنفسه وحسّه حيوان لابدنه وجسمه ، وكذا العلّة الفاعليّة تمام حقيقة المعلول ، إذ المعلول رشّح وفيّض من وجوده ، وهومن العلّة كالشعاع من الشمس ، و الحرارة من النار ، و النداوة من البحر ، كما أوضحه الإلٰهيّون في

---

١ . بحارالأنوار ، ج١٥ ، ص٢٤ ، باب بدء خلقه .

٢ . الكافي ، ج١ ، ص١٠ ، كتاب العقل و الجهل ، ح١ ، نقله عن أبي جعفر عليه السلام مع تفاوت .

علومهم الربّانيّة و أمّا الغاية فهو تمام الفاعل بما هو فاعل و كماله .

وأمّا اشتمال الروح العقلي للإنسان الكامل على جميع الممكنات ؛ فلأنّه كتاب مبين مشتمل على أنموذجات العوالم وحصصها وجزئيّاتها وأفرادها ، وذلک قبل اتصاله بالملأ الأعلى والروح الأعظم ، وأمّا عند الوصول فلا فرق بينه وبين قلم الحقّ الأوّل في اشتماله على الكلّ .

حكمة إلهيّة في كلمة آدميّة

إنّ من عجائب صنع الله وبدايع فطرته خلقة الإنسان الذي فطره الله عالماً مضاهياً للعالم الربانيّ ، وأنشأه الله نشأة جامعة لجميع ما في سائر العوالم والنشئات ، بل ذاتاًموصوفة بجميع نظائر ما وصف به ذاته الإلٰهيّة من النعوت الجماليّة والجلاليّة ، والأفعال والآثار ، والعوالم والنشئات ، والخلائق والقلم واللوح ، والقضاء والقدر ، والملائكة والأفلاک ، والعناصر والمركّبات ، والجنّة والنّار ، والرضوان والمالک .

وبالجملة ، أبدع الإنسان الكامل مثالاً له ـ تعالى ـ ذاتاً ووصفاً وفعلاً ، ومعرفة هذه الفطرة البديعة ، والنظم اللطيف والعلم بهذه الحكمة الأنيقة والأسرار المكنونة فيها سرّ عظيم من معرفة الله ، بل لايمكن معرفته ـ تعالى ـ إلّا بمعرفة الإنسان الكامل وهو باب الله الأعظم والعروة الوثقى ، والحبل المتين الذي به يرتقى إلى العالم الأعلى ، والصراط المستقيم إلى الله العليم الحكيم والكتاب الكريم ، الوارد من الرحمان الرحيم ، فيجب على كلّ أحد معرفة ما في هذا الكتاب المكنون ، وفهم هذا السرّ المخزون .

وهذا معنى وجوب معرفة النبيﷺ ، ومعرفة الإمامعليه السلام ، «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة**» ؛ [1] لأنّ حياة الإنسان في النشأة الدائمة إنّما هي بمعارف الحكمة الإلٰهية ، والإنسان الكامل ينطوي فيه الحكمة كلّها ، وهو مفاد قولهﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله» ، [2] وقوله أيضاً : «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» . [3]

---

١ . الكافي ، ج١ ، ص٣٧٦ ؛ كمال الدين و تمام النعمة ، ص٤٠٩ ، ح٩ ؛ كفاية الأثر ، ص٢٩٦ ؛ مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص٢٢٤ ، «مع تفاوت قليل» .

٢ . مدينة المعاجز ، ج١ ، ص٣٨٧ .

٣ . بحارالأنوار ، ج٢ ، ص٣٢ ، ح٢٢ ؛ عوالي اللئالي ، ج٤ ، ص١٠٢ ؛ مصباح الشريعة ، ص٤١ .

والمراد به نفس النبيّ تحقّقاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾[1] وذلك لأنّ الحقيقة النبويّة بنور هدايته كمّل نفوس المؤمنين، ونوّر عقول الآدميين، وأخرجهم من القوّة إلى الفعل، وأفاض عليهم العلم النوري، وأفاد لهم الوجود الأخروي، فيكون ذاته علّة لتحقّق الحكمة والإيمان فيهم، ومحصّل ذواتهم بحسب الوجود البقائي والثبوت السرمدي، والعلّة الفاعليّة للشيء أولى به من نفسه؛ لأنّ الشيء مع نفسه بالإمكان و مع علّته و مكمّله بالوجوب، والوجوب والكمال أولى بالشيء من الإمكان والنقصان.

فافهم وتأمّل في ما أفدناک من معنى وجوب اتّباع النبيّ والإمام، وكونهما مقوّمين لذات المؤمن بما هو مؤمن، فإنّه يتيمة الوقت، لم تجد في غير هذا المقام، والله الهادي إلى دار السلام.

مرآة آدميّة فيها آيات ربانيّة وأنوار رحمانيّة

ولنذكر أنموذجاً من كتاب الحكمة الإلٰهيّة، ولباباً من المعاني القرآنية المسطورة في هذه النسخة الآدميّة، المكتوبة بخطّ معجز إلهي، وهوالكتاب المبين واللوح المنقوش بنقوش كرام الكاتبين ليكون دستوراً لک في دراسة هذا الكتاب الذي ناولک الحقّ الأوّل، وفهم مقاصده هذا المزبور المسطورالمهديّ إليک من جانب الربّ الغفور، وتحقيق المسائل الإلٰهيّة، وتبيين المعارف الربوبيّة المستنبطة من أرقامه ومبانيه. فنقول:

إعلم أنّ الإنسان الكامل بحسب أصل ذاته التي بما هو هو موجود، بل وجود قائم بنفسه، مجرّد عن الزمان والمكان، مقدّس عن الحلول والإشارة الحسيّة والانقسام، نورمن أنوارالله المعنويّة، وسرّ من أسراره العقليّة، ووجه من وجوه قدرته، وآية من آيات حكمته، وعين من عيون إلٰهيّته، وكلمة من كلمات علمه وإرادته، وهذه الصفات الذاتيّة له كلّها مأخوذة من الصفات الذاتيّة الإلٰهيّة، والنعوت الجلاليّة الكبريائيّة، وقد ظهرت في عبد من عباده.

وأمّا بحسب أحواله وصفاته اللازمة أو العارضة فهوعالم، قادر، مريد، سميع، بصير، حيّ، متكلم إلى غير ذلک من الأوصاف. وهذه كلّها تضاهي صفات الله الكمالية و الجماليّة؛ لأنّ كلّها من كمال الموجود بما هو موجود، فإذا وجد في المعلول فلابدّ وأن يوجد في العلّة المفيضة على وجه أعلى وأشرف.

وأمّا بحسب أفعاله؛ فأفعاله كأفعال الباري ـ جلّ ذكره ـ، فكماأنّ أفعاله ـ تعالى ـ منقسمة

١. الأحزاب (٣٣): ٦.

إلى ما يدخل فيه الزمان والمكان والحركات والموادّ ـ وهي المسمّاة بالكائنات ـ وإلى ما يدخل فيه الأمكنة والموادّ دون الأزمنة والحركات ـ وهي الاختراعيّات ـ وإلى ما يرتفع عنهما بالكليّة ـ وهي المسمّاة بالإبداعيّات ـ فكذلك الفعل الصادر عن جوهرذات الإنسان، بعضه يشبه الإبداع ـ وهو ما لا يفتقر فيه إلى آلة وحركة كإدراكه المعارف الحقيقيّة والأحكام الحقّة اليقينيّة، وكإيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله، وإذعانه ليوم الآخرة، ورجوع الخلائق إلى الخالق ـ وذلك عند صيرورته عقلاً مستفاداً عقيب تكرّر الإدراكات وتكثّر المشاهدات حتّى صار مستغنياً في إحضار مخزوناته وإفادة معقولاته عن الآلات والحركات الفكريّة، بل كلّما توجّه إلى معقول حضر ذلك المعقول عنده ماثلاً بين يدى ذاته المجرّدة.

وبعضه يشبه الاختراع ـ كالحال عند تمثّل الصور له في الخيال، فإنّ إفادة العقليّات تشبه الإبداع، والخياليّات تشبه الاختراع، وكذلك أفاعيله الطباعية الواقعة منه في البدن من غير فكر ورويّة ـ كحفظ المزاج، وجذب الغذاء ودفعه، وتصوير الأعضاء وتشكيلها بإذن الله وكلمته وتأييد من عندالله له بجنود لم تروها.[1]

وبعضه يشبه التكوين ـ وهو أفعاله الظاهرة الحاصلة بإرادته وقصده وحركته ـ كالكتابة والأكل والشرب وسائر أفعاله البدنيّة والنفسيّة التي فيها مصلحة أعضائه وقواه وجنوده الظاهرة بحسب معاشه ودنياه، بحيث يؤدّي أولاه إلى إصلاح معاده وأخراه ليستعدّ بذلك للسعادة القصوى.

وأمّا من حيث مملكته وعالمه واجراء أوامره في عباده وبلاده، فعالمه الصغير أعني بدنه وما يرتبط به يضاهي مجموع العالم الكبير أعني السماوات والأرض وما يتعلّق بهما، وأمره في أفراد عالمه يضاهي أمر الحقّ في أفراد العالم، فكما أنّ لأفعال الله ـ سبحانه ـ من لدن صدورها من مكامن غيبها إلى مظاهر شهادتها أربع مراتب ـ وهي العناية، والقضاء، واللوح، والقدر الخارج ـ كما أشرنا إليه فكذلك لأفعال خليفة الله وصدورها أربع مراتب:

لأنّ كلّما يصدر منه فقد وجد أوّلاً في مكمن سرّه الذي هو غيب غيوبه، وعقله الإجمالي، وكتابه القرآني، ثمّ ينزل إلى حين قلبه الباطني ونفسه الناطقة عند استحضاره بالفكر وإخطاره بالبال، كإحضار التصوّرات الكليّة والقضايا الكليّة و كبريات القياس بمدد بعض ملائكة الله العلويّة عند الطلب للأمر الجزئي وتحصيله خارجاً وإحضاره من حدّ العلم إلى حدّ العين، فينبعث عنه العزم على الفعل.

ثمّ ينزل إلى مخزن خياله متشخّصة جزئيّة، وهو موطن التصوّرات الجزئيّة وصغريات

---

١. الاتخاذ من هذه الآية: ﴿...فأنزل الله سكينته عليه و أيّده بجنود لم تروها...﴾التوبه(٩): ٤٠.

القياس بيد بعض الملائكة المدبّرة السفليّة، ليحصل بانضمامها إلى تلك الكبريات رأى جزئّي ينبعث عنه القصد الجازم للفعل، ثمّ يتحرّک أعضاؤه عند إرادة إظهارها بيد بعض جنود الله المحرّكة، فيظهر ذلک الفعل المقدّر على وفق الإرادة التابعة للتصوّر والتفكّر.

فالتعقّل الأوّل بمنزلة العناية والقضاء الإجمالي ـ ومحلّه وهو الروح العقلانيّ بمثابة القلم- والصورة الثانية بمنزلة نقش اللوح المحفوظ، والثالثة بمثابة الصورة في السماء، فإنّ الروح الدماغي بمنزلة السماء، وجوهر الدماغ ومخّه بمنزلة هيولاها، والقوّة الخياليّة بمثابة نفس الفلک المنطبعة، والصور الخياليّة بمنزلة صور الأشياء في عالم السماء قبل وجودها في المواد الخارجيّة، والرابعة بمثابة الصور الحادثة في الموادّ الخارجيّة العنصريّة.

وعند ذلک يتحرّک الأعضاء بمنزلة حركة السماء، ووجود الكتابة وغيرها من الإنسان في مادّة خارجيّة عنه موضوعة لفعله، وصناعته بمنزلة وجود الأكوان الخارجيّة في الموادّ العنصريّة، وسلطان العقل الإنساني في الدماغ كسلطان الروح الأعظم في العرش، وظهور قلبه الحقيقيّ الذي هو نفسه الناطقة في القلب الصنوبري، كظهور النفس الكليّة الفلكيّة في الشمس التي هي مثال نور الله ـ تعالى ـ في عالم الأجرام؛ لأنّها نور السماوات والأرض في عالمنا.

فيكون على هذا نور الشمس بمنزلة «المصباح» و«زيتها» صورتها النوعيّة التي تكاد تضيء ولو لم تمسسه نار النفس المجرّدة الشمسيّة، والفلک كالزجاجة والهيولى كالمشكاة، والقوّة الطبيعيّة السارية في العالم الجسمانيّ هي الشجرة المباركة، وهي ليست من شرق الجواهر العقليّة، ولا من غرب الأبعاد الماديّة، ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ وينوّر الأنواع الجسميّة، وإن لم تمسسه نار النفس الكليّة المقوّمة لها، لكونها خليفة النفس في عالم الطبايع، كما أنّ النفوس و العقول خلفاء الله فى عالم الأرواح، و﴿**نور على نور**﴾ هو النور الحسيّ من الشمس، المنضمّ إلى نور نفسه المجرّدة، أو نورها النفسيّ المقوّم لنورها الحسيّ العالي عليه.

ففي هذا التأويل يكون النّور الحسيّ للجرم الشمسي مثالاً للنّور الواجبي الذي هو بمثابة شمس الأنوار العقليّة، وأمّا في سائر التأويلات الحقيقيّة التي ذكرناها فهي بمعزل عن أن يكون نورها الحسّي معدوداً من نور السماوات والأرض، بل يكون معدوداً من جملة الظلال والرماد أوالزغال والمداد لكلمات الله المكتوبة من القلم العقليّ على الألواح النفسانيّة أو الأقدار الخارجيّة، كما ورد في النّظم الفارسي:

دوده كندم دبير أنجم　　از دود چراغ چرخ چارم

إشراقات وإشارات

قد انكشف لک ممّا فتحنا على قلبک ـ بإذن الله ـ أبوابه ، وقرأنا عليک من كتاب الحكمة لبابه ، أسرار لطيفة في مسائل معرفة الله ، وآيات عظيمة من صحائف ملكوته ، وبدايع فطرته و جوده ، ونتايج رحمته وأشعّة شمس وجوده ، ولو أخذت الفطانة بيدک عند ملاحظة مملكة الآدمّي ونفوذ أمره في قواه وآلاته ، وإحاطة علمه بما في عالمه وطبقات موجوداته ، وسراية نوره في صوره العلميّة ونقوشه الإدراكية الحاصلة في مرآة ذاته ، ثمّ المرتسمة في ألواح تصوّراته التي هي بمنزلة عالم سماواته ، ثمّ الحالّة في محالّ جرميّاته ومادّياته التي بمنزلةعالم أرضه وكائناته ، لرأيت بعين هذا الإشراق أنّ هويّته الروحيّة هي مظهر الهويّة الغيبيّةاللاهوتيّة ، وأنّ هويّته النفسيّة هي مظهر اسم الله ومثال نوره النافذ في سمائه وأرضه فتحقّقت بمعنى آية النور على أحكم طريق وأتقنه ، وعلمت علماً شهودياً نورياً وإشراقاً كشفياًحضورياً أنّ الله نور السماوات والأرض .

فإنّ جميع ما يوجد في مملكة الآدمي وعالمه إنّما وجودها وظهورها بنور هويّته المستورة عن الخلق لغاية ظهور آثارها وكثرة أفاعيلها وأنوارها فصارت أفعالها وآثارها حجباً للخلق عن رؤية ذاتها ومشاهدة جمالها وجلالها كما أنّ ظهور العالم الكبير ومظاهر أسمائه ـ تعالى ـ حجب للخلق عن مشاهدة الربّ ـ تعالى ـ وجماله وجلاله ، وبه أشرقت الأرض والسماء ، وهوالنور الذي ظهرت به مظاهر الأسماء .

وكما أنّه بذاتک النيّرة العقليّة ، حصلت وانكشفت وتنّورت الصورالإدراكيّة العقليّة و النفسيّة والخياليّة والحسيّة في مراتب مداركک القضائيّة والقدريّة واللوحيّة والقلميّة ، فبذات القيّوم الإلٰهي تقوّمت و تنوّرت كلّ ما في العالم و النشئات والألواح والأقدار والأراضي و السماوات تقوماً ظهوريّاً شهوديّاً ، وتنوّراً تحصليّاً وجوديّاً .

فاشكر ربّک ـ سبحانه ـ في إعطائه لک مفتاحاً لخزائن الرحمة والجود﴿**وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاّ هو ...**﴾ ؛[1] بل كنزاً مخفيّاً يحصل منه كلّ بغية ومقصود﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ ؛[2] ودرّاً ثميناً يسهل به الوصول إلى كلّ موجود ، ومرقاة للصعود إلى معارج الحقّ المعبود﴿**وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ**﴾ .[3]

---

١ . الأنعام(٦) : ٥٩ .

٢ . الذاريات (٥١) : ٢١ .

٣ . فصّلت(٤١) : ٥٣ .

فما من مطلب إلّا ويوجد فيه، وما من بغية إلّا ويتيسّر منه حصوله لمتأمّليه فهو الطلسم الأعظم، والترياق الدافع للسمّ، والفاروق الأكبر، وباب حكمة الله الأنور، والكتاب المبين، والسرّ المكتوم، والنباء العظيم الذي هم فيه مختلفون، ومعنى حرفي الكاف والنون، والقرآن المبين، والعروة الوثقى، والحبل المتين، وليلة القدر، والاسم الأعظم، ويوم الجمعة، والمسجد الأقصى، والكعبة والحرم، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، والرق المنشور ـ إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته التي لاتعدّ ولاتحصى.

حكمة محمّديّة

إعلم أيّها السالک وتدبّر وتفكّر وانظر في ماسطر في هذا المسطور، ونوّر بصرک بسواد أرقام هذا المزبور، وتيقّن أنّ الصراط المستقيم والسّبيل إلى الله الكريم ليس في الأرض و لا في السماء، ولا في البرّ ولا في البحر، ولا في الدنيا ولا في الآخرة، بل في ذات السالک الذاهب منه فيه إلى ربّه﴿**قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني**﴾. [1]

دوائک فيک و ما تشعر ودائک منک و ما تبصر [2]

وهو قلم الحقّ الأوّل، المعلّم للإنسان ما لم يعلم﴿**وعلّمک ما لم تكن تعلم...**﴾[3] وهو لوح الله المأخوذ بيد الأنبياء والأوصياء، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**أخذ الألواح وفي نسختها هدى**﴾، [4] ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه ...**﴾، [5] وهو القرآن المبين وحبل الله المتين، فإنّ القرآن خلق الإنسان الكامل، كما روي عن بعض أزواجه أنّها قالت حين سئلت عن خلقه ﷺ: «كان خلقه القرآن». [6]

وكلّ ما في الأرض والسماء فهو في هذا المسمّى بجميع الأسماء؛ لأنّه كتاب مبين لارطب ولا يابس إلّا فيه، ففيه النعيم ولذّاته، ومنه الجحيم وآفاته، فيک الموت والحياة، ولک الثواب والعقاب، وفيک روضة من رياض الجنان، وفيک حفرة من حفر النيران، كما قلتُ في المثنوي:

---

١. يوسف(١٢): ١٠٨.
٢. ديوان إمام علي لقطب الدين البيهقي، ص٢٣٦، طبع الأسوة؛ نقد الفصوص للجامي، ص٩٢، طبع إيران.
٣. النساء(٤): ١١٣.
٤. الأعراف(٧): ١٥٤.
٥. الحشر(٥٩): ٧.
٦. مسندأحمد، ج٦، ص٩١ و١٦٣؛ فتح الباري، ج٦، ص٤١٩؛ تخريج الأحاديث و الآثار، ج٤، ص٧٥.

درونی بود روضه از بهشت | درونی بود حفره از کنشت
بود سینهٔ کش عمـارت کنند | به هر دم عزیزان زیارت کنند
چـو قبـر بزرگـان بـا آفرین | ملائک طوافش کنند از کمین
دگر سینهٔ همچو قبـر یهـود | پر او لعنت و وحشت و چرک و دود
پر از فحش و وسـواس و حرص و دروغ | نگیرد زانوار حکمـت فروغ
یکی لوحی از مکتب علم غیب | یکی نامهٔ پرز وسواس و ریب
بر این نسخه مکتوب حقّ شد رقم | بر آن دست ابلیس در زد قلم

اللّهم إنّی أعوذ بک من عذاب القبر ومنشأ عذاب القبر، وباعثه هي البشريّة التي كلّها عذاب، فما لم يتخلّص منها لم يتخلّص من عذاب القبر، ﴿**أنيبوا إلى ربّكم**﴾؛[1] ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم** ...﴾؛[2] وسئل عن بعض الأكابر من عذاب القبر فقال: «القبر كلّه عذاب».[3]

واعلم أنّ أوّل درجة من درجات السير إلى الله هو الخروج من مضيق العالم وقبر البشريّة، وغبار الهيئات النفسانيّة، و في الحديث عن رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي فلينظر إليّ».[4]

وأوّل ماينكشف عليه من أحوال الآخرة ويخبر لها منها هو أحوال الموتى وكشف القبور وتحصّل ما في الصدور، وما يتمثّل للميّت فيه من الحيّات والعقارب والكلاب والموذيات والمعذّبات، وسؤال المنكر والنكير.

وهذا أيضاً ممّا صعب دركه على أكثر أرباب الدقّة والبحث، والعقول الفلسفيّة والطباعيّة والدهريّة، ولا يمكنهم الإيمان به، لكونه فوق أطوار عقولهم، فلم يقنعوا كسائر الناس بالتقليد المحض فيه، لاعتيادهم بعدم الإذعان بشيء إلّا من جهة الدليل، وليس للدليل إلى الأمور الشهوديّة والكشفيّة سبيل، فأخذوا في التعجب قائلين:

«كيف يجوز أن يسئل الإنسان ويخاطب في قبره، وينزل عليه ملكان يشهدهما الإنسان ويخاطبهما ويسمع كلامهما، ولم يرهما غير الميّت ولم يسمع شيء منهما؟!»

---

١. الزمر(٣٩): ٥٤.
٢. آل عمران(٣): ١٣٣.
٣. تمهيدات، ص٢٨٨، من قول الحلّاج.
٤. نفس المصدر، ص٢٨٧، و فيه من غير نسبة إلى النبيّ ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى ابن أبي قحافة» و لم يوجد في مصادر الروائي.

وفي هذا المقام سرّ عظيم لايجوز التصريح بـه إلّا لمن ماتـت رغبته في الدنيا، وخرج روحه عن هذه المقبرة السوداء.

والغرض أنّ الإنسان الكامل جامع لجميع ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض، والسماء والأرض والنجوم، والملك والجنّ والحيوان، والجنّة والنّار، والكتاب والصراط و الميزان وغيرها، فهو خليفة الله في الأرض والسماء، فله جوهر ذاته وأعراض صفاته، وسماء رأسه ونجوم حواسّه وشمس قلبه وأرض بدنه، وجبال عظامه وطيور قواه الإدراكيّة ووحوش قواه التحريكيّة، بل كلّ ما أوجده الله ـ تعالى ـ في عالمى الملك والملكوت فهو مأمور بطاعة الإنسان الكامل وسجوده؛ لأنّه خليفة الربّ ـ تعالى ـ ومظهر جميع الأسماء لقوله: ﴿**وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض**﴾؛[1] وقوله: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً**﴾،[2] فجميع ذرات الكونين يسبّح له كما يسبّح لله ـ تعالى. وقد ورد في الحديث:

«إنّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر».[3]

فجملة أهل الملكوت والملك، وملائكة الله كلّهم أجمعين، مأمور من الله ـ تعالى ـ لقوله: ﴿**اسجدوا لآدم**﴾،[4] بطاعة هذا النائب الربّاني والسرّ السبحاني، وله خلافتان: خلافة صغرى، وخلافة كبرى، فالله ـ تعالى ـ لمّا أراد بقدرته التامّة وحكمته الكاملة أن يجعل خليفة من قبله في أرض الخلائق ونائباً مبعوثاً من حضرته في إنشاء الحقائق وإفشاء المعاني وبثّ الخيرات على القاصي والداني سخّر له ما في الأرض جميعاً ليجمع له أسباب السلطنة الصغرى الظاهرة. وقد قيل: «السلطان ظلّ الله في الأرضين».[5]

وسخّر له ما في السماء ليجمع له أسباب السلطنة العظمى، فبنى له سريراً جسمانيّاً في بيت معمور القلب، في مملكة البدن وعالم القالب، ثمّ أمر الملائكة السفليّة بطاعته وانقياده بقوله: ﴿**اسجدوا لآدم**﴾، فسجد تحت قدمه كلّ ما في أرض البدن وجبال العظام، ومياه الفم والعين والأنف والأذن، وأقاليم الأعضاء السبعة الظاهرة ـ وهي اليدان والرجلان والظهر

---

١. الجاثيه (٤٥): ١٣.

٢. لقمان(٣١): ٢٠.

٣. الجامع الصحيح للترمذي، ج٥، ص٤٩، كتاب العلم، باب ١٩، ح٢٦٨٢. مسند أحمد، ج٥، ص١٩٦؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٨٧؛ بصائر الدرجات، ص٢٥، ح٤«مع تفاوت قليل»؛ منية المريد، ص١٠٧.

٤. البقرة(٢): ٣٤.

٥. في المصدر: «فى الارض». (٣)عوالي اللئالي، ج١، ص٢٩٣؛ مجمع الزوائد، ج٥، ص١٩٦.

والبطن والرأس ـ ونجوم الحواسّ، وجحيم المعدة، وزبانية القوى الطبيعيّة، وعرش القلب، وكرسيّ الصدر، وسماوات الدماغ المشحونة بالإلهامات العقليّة والمعاني الفكريّة من جهة اللطيفة النوريّة وهي بمثابة الملأ الأعلى لهذه الخليفة والملأ الأسفل بمنزلة الشياطين وأعداء الله، والنفس الخارج من باطنه بمنزلة الهيولى القابلة لبسائط الصور ومركباتها، والحروف الهجائيّة بمنزلة الصور النوعيّة البسيطة الفلكيّة والعنصريّة، والكلمات الثلاث ـ وهي: الاسم والفعل والحرف ـ بمنزلة المواليد الثلاثة: الجماد والنبات والحيوان.

فإذا تمّ له الخلافة الصغرى أيّده الله ـ تعالى ـ بجنود لم تروها لأجل الخلافة العظمى، وسخّر له بهذه الجنود الروحانيّة جميع مافي عالم الملك والملكوت، لقوله ـ تعالى ـ ﴿**و سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض**﴾،[1] ثمّ أمر بطاعة هذا النائب الرباني وسجودهذا الخليفة الإلٰهي جميع ملائكة الكونين، فسجد له الملائكة كلّهم أجمعون، فتمّ له الخلق والأمر نيابة عنه ـ تعالى ـ ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾،[2] ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾.[3]

بسط كلام لتوضيح مقام

هذا النائب الرباني، والعبد المقرّب السبحانى، والخليفة لله ـ تعالى ـ والمرآة لصور الأشياء إنّما فاق على الكونين بشيئين: العلم التامّ بحقائق الأشياء، والقدرة الكاملة على ما يشاء.

أمّا العلم؛ فعلمه منقسم إلى علم الظاهر وعلم الباطن، فبعلمه الظاهر يحيط بجميع ما يحتاج إليه فى خلافته الظاهرة ـ من كيفيّة استنباط الصنائع، واستخدام الطبائع، ومعرفة تسخير الحيوانات واصطياد الوحوش والطيور من الأرض والهواء، واستخراج الحيتان بقوّة التدبيرعن [قعور. ن] البحار، فينزل الطير بدقّة الفكر وإصابة الرأي من أعلى الجو، و يصطاد الوحوش بكثرة الحيل من قلّة الطود والجبل، ويستنبط بفرط الذكاء ودقّة الفهم مقادير الأفلاك وأبعادها، ويعلم بمعرفة المساحة وقوّة السّباحة بروج السماء وتقاويم النجوم و مقاديرحركاتها وجهاتها، وأقاليم الأرض ومقادير الجبال، ويحكم بخسوف القمر و كسوف الشمس في أوقات معيّنة وآنات معلومة، ويوضع علوماً كعلوم الآداب والشرائع والأخلاق

---

١. الجاثية(٤٥): ١٣.
٢. الأعراف(٧): ٥٤.
٣. المؤمنون(٢٣): ١٤.

وعلم السياسة والحكومة، والنجوم والطبّ، واللغة والشعر، والحساب والموسيقى، والفال والزجر والشعبذة والقيافة والحيل، وجرّ الأثقال وإخراج القنوات ومعرفة الجواهر و المعدنيّات، وعلم الأدوية والنباتات المفردة والمركّبة، وكيفيّة دفع السموم والأمراض، وعلم الدّهقنة والفلاحة، وسائر علوم الصناعات.

وأمّا علم الباطن، فهومعرفة الروحانيّات، ومكاشفة الملائكة العلويّات، والإحاطة بجواهرالعقليّات والمثل الأفلاطونيّات، والاطّلاع على المبادي الأوّل وما هو أوّل الأوائل، والغايات الأُخر وما هوغايةالغايات. وبالجملة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإحاطة بصورة الوجود كلّه وبه يصيرالإنسان، بحيث كأنّه أحد سكّان الصّقع الربوبيّ، وموضوع العالم العقليّ.

وأمّا القدرة فتمامها إنّما يظهر في النشأة الثانية، وهناك ينتج ما يكتسب هاهنا و ﴿**فيهاما تشتهي أنفسكم**﴾،[1] و عند ذلک يشاهد انقياد الملائكة وطاعتهم للإنسان الكامل طاعة لله، كمافي قوله ـ تعالى ـ: ﴿**اسجدوا لآدم**﴾ و فيها يتحقّق خلافته لله بالحقيقة وسرّ قوله ـ تعالى ـ: ﴿**فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾.[2]

أساس حكمي يبتني عليه أصول عرفانيّة

إنّ للحقائق المتأصّلة عوالم و نشئات، و مظاهر و تمثّلات، وجميعهامـمّا يوجد في المسجدالجامع الإنساني، وهو صومعة أهل الذكر والتسبيح، ومعبد الخلائق كلّهم، فمنها الجنّة، فإنّ حسن خلقه الواسع جنّة عرضها كعرض السماء والأرض، وسوء خلقه الضيق جحيمه، وأعماله الحسنة هي الصّور الجنانيّة من الأنهار والحور والقصور، وأعماله القبيحة صورة النيران والحيّات والموذيّات، والحميم والزقوم.

وهذه الصفات والملكات الجميلة والرذيلة والأعمال والآثار الحسنة والقبيحة إنّما هي أصل ما يشاهدها الإنسان في الآخرة، وبذر ما يوجد ويتحقّق في العقبى وجوداً وتحقّقاً أتمّ وأثبت من وجود هذه الصورالماديّة الدنياويّة، فيتنعّم بها السعداء، ويتعذّب بأضدادها الأشقياء، ولأهل الجنّة اقتدار على إحضار ما يشتهون، واستحصال ما يذوقون، ﴿**لكم فيها**

---

١. فصّلت(٤١): ٣١.
٢. الحجر(١٥): ٢٩.

ما تدّعون*نزلاً من غفور رحيم﴾[1] ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين**﴾[2] حتّى أنّ أدنى أهل الجنان وأبلههم يأكل في لحظة مقدار ما يأكل جملة أهل الدنيا من غير ملال وكلال، ويوجد لهم في لقمة واحدة لذات سبعين طعاماً من أطعمة الدنيا وحلاواتها. وهذه جنّة العموم حتّى البله وغيرهم.

وأما جنّة المحبّين للّه فهي ماعبّر عنها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿**فادخلي في عبادي* وادخلي جنّتي**﴾[3] وقوله: «أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر».[4]

والحاصل أنّ هذه الدرجات الجنانيّة العالية، ومقابلها من الدركات الجحيميّة النازلة حاضرة مع هذا الإنسان في الدنيا، والخلق غافلون عنهما إلّا من أيّده الله بالكشف التامّ، فيرى معهم وفي أهابهم ما لا يراها أنفسهم ﴿**اولئک ينادون من مكان بعيد**﴾،[5] ﴿**وأزلفت الجنة للمتّقين*وبرزت الجحيم للغاوين**﴾،[6] ﴿**وماهم عنها بغائبين**﴾.[7]

واعلم أنّ الحقّ ـ تعالى ـ إلٰه واحد، ورازق واحد، وباسط واحد. ينزّل منه فيض واحد ينبسط على الكلّ بقدر واحد من جانبه، لكن يختلف باختلاف الأذواق والمشارب، قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً**﴾،[8] وقوله: ﴿**يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل**﴾،[9] فمنه عذب فرات، لصفاء المحلّ وسلامة القلب، ومنه ملح أجاج، لكدورة المحلّ، بسبب المعاصي والآثام.

والاسم الجامع للجنّة والنار العامّ لجميع مراتبهما الموجودة في العالم الكبير والصغير و مافوقهما هو «الوصال للمحبوب» و«الفراق عنه»، فجنّة السعداء في الحقيقة هي وصولهم

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱. فصّلت(۴۱): ۳۱-۳۲.
۲. الزخرف(۴۳): ۷۱.
۳. الفجر(۸۹): ۳۰.
۴. عوالي اللئالي، ج۴، ص۱۰۱، ح۱۴۸؛ مسند أحمد، ج۲، ص۳۱۳؛ كنزالعمّال، ج۱۵، ص۷۷۸، ح۴۳۰۶۹، حديث قدسيّ معروف و جاء في الأكثر بلفظ «أعددت لعبادي».
۵. فصّلت (۴۱): ۴۴.
۶. الشعراء(۲۶): ۹۰-۹۱.
۷. الانفطار(۸۲): ۱۶.
۸. الحجر(۱۵): ۲۲.
۹. الرعد(۱۳): ۴.

إلى ما يشتهون ويحبّون ﴿**فيها ما تشتهيه الأنفس**﴾،[1] وجحيم الأشقياء هي فراقهم عن مشتهيات الدنيا ولذاتها الباطلة ﴿**وحيل بينهم وبين مايشتهون**﴾.[2]

وأمّا جنّة المقرّبين فمشاهدة معبودهم، ومقابلها وهو الاحتجاب جحيم المبعدين ﴿**كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون**﴾.[3]

قال بعض المحبّين: العشق هو الطريق، ورؤية المعشوق هي الجنّة، والفراق هوالنار، ﴿**نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة**﴾.[4]

واعلم أنّ مذهب العشاق وطريقهم غير مذاهب الناس وطرائقهم، وحركة العشاق و سعيهم غير حركات الناس ومساعيهم فاعلاً وغايةً، حيث أنّ محرك العاشقين جذبة الحقّ التي توازي عمل الثقلين، وغاية سعيهم وسفرهم ومنتهى حركاتهم لقاء الله ـ تعالى ـ و جحيمهم هو الاحتجاب عنه «الجارّ ثمّ الدار»، وإنّما يريدون الجنّة وما قرب إليها من قول و عمل لما فيها ظلال وجهه وأشعة نور جماله.[5]

وممّا ينبّه على هذا الدعوى أنّ رؤية الشمس شيء ورؤية شعاعها شيء آخر، إلّا أنّ الشمس لا تعرف ولا تهتدي إليها إلا بالشعاع، وهذا مثال إرادة العارف للأشياء، وطاعته لمن سواه، وهاهنا مثال آخر، أوضح من هذا عند أصحاب الفكر والخيال: أنّ رؤية القمر في الماء شيء، ومعاينة وجه القمر ليلة البدر شيء آخر، فمن رأى وجه القمر في الماء فقد رآه إلّا أنّه رآه مع حجاب من وهمه، وهكذا قلب العارف كالمرآة التي يترائى فيها سرّ الله، كما قال بعضهم: «مثل القلب كالمرآة، إذا نظر فيها تجلّى ربّه».[6]

وكان في مصحف ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: «مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاةفيها مصباح»، فانظر كم بين قلب منّور يشاهد فيها نور وجه الله، وبين قلب مسوّد منكوس كان عشّ الشيطان ﴿**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم**﴾.[7]

ولنعد إلى ما كنّا بصدده، وليعذرني أبناء العقول السلمية، فإنّ الكلام يجرّ الكلام،

---

١. الزخرف(٤٣): ٧١.
٢. سبأ(٣٤): ٥٤.
٣. المطففين(٨٣): ١٥.
٤. الهمزة(١٠٤): ٦-٧.
٥. راجع الأسفارالأربعة، ج٧، ص١٨٨، الفصل(٢٢)في الإشارة إلى المحبّة الإلهيّة المختصّة بالعرفاء الكاملين و الأولياء الواصلين.
٦. تمهيدات، ص٢٩٣.
٧. النمل (٢٧): ٨٢.

وارتحلنا به إلى هذا المقام، وكان كلامناأنّ للحقائق أمثالاً في العوالم بل بناء كلّ عالم على وجود المظاهر والأمثلة، فإنّ جميع صور هذا العالم أمثلة لما في العالم الأعلى يظهر للنفس الإنسانيّة بواسطة مرائى الحواس ومظاهر المشاعر، بل كلّ من كان في عالم من العوالم، يكون ذلك العالم شهادة عنده حاضرة لديه وغيره غيباً عنه محجوباً عن نظره، و الخلق وثوقهم واعتمادهم على ثبوت الصور الموجودة في هذا العالم، دون غيرها من الصور الموجودة في عالم آخر أعلى من هذا العالم، لاختلاطهم بالحواسّ وامتزاجهم بالمحسوسات والعرفاء بخلافهم.

كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أنا أعرف بأحوال السماء من أحوال الأرض»[1] و قول النبي صلى الله عليه وآله: «أطت السماء وحقّ لها أن تأطّ فليس فيها موضع قدم إلّا وفيه[ملك]ساجد أو راكع»[2] صريح في أنّه صلى الله عليه وآله قد علم أحوال كلّ شبر من أشبار السماء وما تعلّق بها من نفس و عقل عبّر عنهما بالساجد والراكع.

والعامّة والظاهريّون من العلماء إنّما اعتمادهم على صور هذا العالم، لعدم استطاعتهم على تجريد كلّ صورة عن جميع خصوصيّات الموادّ، فإذا تجرّدت صورة ما عن بعض خصوصيّات المادّة التي عاهدوها، فيوشك أن ينكروها، لألفهم بالمادّة المخصوصة، و اعتيادهم بالصور المحسوسة، وأمّا العالِم الراسخ فكلّما كانت الصورة أخلص جوهراً من الموادّ، وأجرد وجوداً من الأغشية كانت أشدّ تحقّقاً عنده وأقوم ثباتاً وأدوم بقاءً.

تأييد

أما قرع سمعک ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ في الجنة سوقاً تباع فيه الصور».[3] ونقل عن بعض الصلحاء أنّه قال: «رأيت ربّي في المنام على صورة أمّي».[4] وعبّر المعبّر «الربّ» بآياته القرآنية، و «الأم» بالنبيّ صلى الله عليه وآله وعنده أمّ الكتاب وهذا ضرب من التمثيل. ورؤية النبيّ صلى الله عليه وآله

---

١. راجع نهج البلاغة، ص٢٨٠، الخطبة ١٨٩ من صبحي الصالح، «فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض». و جاء أيضاً بلفظ آخر في الغرر و الدرر للآمدي (باب السين ـ سلوني).

٢. قريب منه في عوالي اللئالي، ج٤، ص١٠٧؛ مسند أحمد، ج٥، ص١٧٣؛ الدر المنثور، ج٥، ص٢٩٣.

٣. في بحارالأنوار عن جامع الأخبار: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ في الجنّة سوقاً ما فيها شرى و لابيع إلا الصور من الرجال و النساء، من اشتهى صورة دخل فيها...» بحارالأنوار، ج٨، ص١٤٨، باب الجنّة و نعيمها(٢٣)، ح٧٦؛ و قريب منه في سنن الترمذي، ج٤، ص٦٨٦، باب صفة الجنّة (١٥)، ح٢٥٥٠.

٤. راجع تمهيدات، ص٢٩٦ و٢٩٧.

جبرئيل تـارةً في صورة أعرابي وتارةً في صورة دحية الكلبي ، [1] وتارة في صورة عظيمة كـأنّه طبّق الخافقين ، كلّ ذلک من التمثيلات المختلفة بحسب المقامات المتفاوتة ، والنشئات المختلفة وإلّا فجبرئيل حقيقة واحدة ، وإنّما اختلافه بحسب اختلاف العوالم والنشئات .

وعلى هذا القياس ، الحكايـات الـواردة في باب النبيﷺ ورؤيته ربّه ، ورؤية سائر الأنبيـاءو الأولياءعليهم السلام ربّهم على أنحاء مختلفة متفاوتة في الظهور والخفاء بحسب ثخانة الحجاب و رقّته .

ومن جملة الحجب هـويّة السالک ؛ وجودک ذنب لايقاس به ذنـب ، [2] وتعيّنه المـوسوم بجبل مـوسىعليه السلام ، فما لم يفنى السالک عـن هـويّته ولم يـرتفع من البين جبل تـعـيّنه ، ولم يضمحل اضمحلال الجميد وذوبان الثلج عند استيلاء قهر شمس الحقيقة عليه ، لم يشاهد ذات الحقّ ـ تعالى ـ . وأوّل مايجب على السالک الذاهب إلى الله بقدم الصدق والمعرفة ، أن يرفع من طريقه أذى هويّته التي هي من جملة الآفلين ، وإن تطوّرت في أطواره بصورة الطبيعة والنفس والعقل ، كالكواكب والقمـر والشمس حتّى يصدق كالخليل في دعواه : ﴿**وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين**﴾ . [3]

ومن علامات ولاية الله ـ تعالى ـ تمنّي الموت كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿**يا أيّها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء للّه من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين**﴾ . [4]

وممّن شكى عن أذى هـويّته التي يجب على كـلّ مسلم بمقتضى إسلامه إماطة أذاهـا عن طريق المسلمين ـ من قلبه وروحه وسرّة السالكين إلى الله ، تعالى ـ هو أبويزيدالبسطامي حيث قال : « البشريّة ضدّ الربوبيّة ، فمن احتجب بالبشريّة فاتته الربوبيّة » . [5] وكذا الحسين بن منصور :

أقـتلـوني يـا ثقـاتي ... إنّ في قتلي حياتي [6]

أولاترى أنّ المؤمنين حمدواالله وشكروه على خلاصهم عن البشريّة كما حكى الله عنهم بقوله : ﴿**الحمدللّه الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور**﴾ . [7]

---

١ . نفس المصدر ، ص٢٩٤ .
٢ . مصباح الأنس بين المعقول و المشهود ، ص٦٩٣ .
٣ . الأنعام (٦) : ٧٩ .
٤ . الجمعة(٦٢) : ٦ .
٥ . تمهيدات ، ص٢٩٨ .
٦ . مرصاد العباد لنجم الدين الـرازي ، ص٢٢٣ ، الطبعة الثالثة ، ايـران ، ١٣٦٦ ش(در توضيحـات ، ص ٦١٧ به نقل از ديوان حلاج ، چاپ پاريس ١٩٣١ ميلادى آمده است) .
٧ . فاطر (٣٥) : ٣٤ .

تذكرة

واعلم أنّ معرفة أحوال الموتى وذكر الموت من أعظم العبادات ؛ لأنّ حجاب البشريّة أعظم الحجب ، ورفعه من أهمّ الأمور ، ولهذا امتحن الله قلوب الناس بتمنيّه في قوله : ﴿فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين﴾ ،[١] وفي الحديث عنهﷺ : «إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، وجلاؤها ذكر الموت وتلاوة القرآن» .[٢]

وإن سئلت الحقّ فلا يزول رين البشريّة وغين التعيّن عن القلوب إلّا بجذبة من جذبات الحقّ التي توازي عمل الثقلين ، فانظر في أنّه إذا لم يخلو مرآة قلب سيّد الكائنات ، وأشرف الممكنات عن أصدية الالتفاتات وغيون التوجّهات إلى هذا العالم حتّى احتاجﷺ لحفظ مقام القرب و العنديّة إلى الاستغفار في اليوم بليلته سبعين مرّة ـ كما جاء في الحديث المشهور[٣] ـ فمن الذي خلصت مرآته ، ونقيت ذاته عن أوصاف البشريّة بالكليّة بمجرّد الاكتساب والعمل من غير جذبة ربّانيّة؟

ولا يبعد أن يكون قول بعض المشايخ حيث قال : «الصوفي هوالله » ،[٤] اشارة الى نحو هذا ، أي : التصوّف والتجرّد عن رقّ النفس وعبوديّة الهوى ، والإقبال بالكليّة إلى الحقّ ، إنّما يحصل بمحض جود الله وامداده في حقّ السالک المعتصم بحبله المتين ، مثل إلقاء الله الإلهامات المتتالية في قلبه ، وإفاضة المعارف المتواردة على سرّه ، ليجرّه بالتعويد من عالم البشريّة إلى عالم الربوبية ، وذلک معنى قوله : ﴿وعلّمناه من لدنّا علماً﴾ .[٥]

ومن هاهنا ينكشف أنّ العبادة من غير العلم لا وزن لها ولا قيمة ، وسعي غير العارف كحركات الأموات والجمادات لا قصد فيها ولا معنى لها ولا طائل تحتها كالحركة بالعرض ، فإنّ كلّ حركة تكون غايتها من جنس مبدئها كما يظهر بالقياس والاستقراء ، وقد ثبت أنّ الغاية

---

١ . الجمعة(۶۲) : ۶ .

٢ . الدعوات للراوندي ، ص۲۳۷ ؛ مستدرک الوسائل ، ج۲ ، ص۱۰۴ ، ح۱۸/۱۵۴۸ ؛ عوالي اللئالي ، ج۱ ، ص۲۷۹ ؛ كنزالعمّال ، ج۱ ، ص۵۴۵ ، ح۲۴۴۱ ، ج۲ ، ص۲۴۱ ، ح۳۹۲۴ ؛ تمهيدات ، ص۲۹۹ ؛ وقال العراقي (تخريج أحاديث الإحياء ، ج۱ ، ص۲۷۳) : أخرجه البيهقي من حديث ابن عمر .

٣ . تمهيدات ، ص۲۹۹ ؛ و راجع سنن ابن ماجه ، ج۲ ، ص۱۲۵۴ ، كتاب الأدب ، باب الاستغفار ، ح۳۸۱۷ .

۴ . تمهيدات ، ص۳۰۰ .

۵ . الكهف(۱۸) : ۶۵ .

هی عین الفاعل بوجه الکمال، فمبدأ الحرکة إن کان طبیعة یکون غایتها أمراً طبیعیّاً کالوصول إلی الحیّز الطبیعیّ، و إن کان أمراً حیوانیّاً فغایته أمر حیوانیّ کالأکل و الشرب و الشهوة و الانتقام، و إن کان مبدأ روحانیّاً فغایته الوصول إلی عالم الملکوت کالمعارف الأخرویّة، و إن کان أمراً إلهیّاً فغایته القرب والمنزلة عندالله بفناء النفس عن ذاتها وبقائها بمبدئها وغایتها.

فلو لم یأمرالله عبده ولا یأذن داعي الحقّ له في الدخول في بابه والوصول إلی جنابه في مثل قوله: ﴿**یا أیّها المزمّل**﴾،[1] فمن الذي یقوم من نومه للصلاة أکثر اللیل، ویصوم کلّ النهار؟ وکان رسول الله ﷺ قبل البعثة یسهر لیله ویظمأ نهاره، ویقوم للعبادة في جبل «حراء»، حتّی تورّمت قدماه، وکان یقول: «قرة عیني في الصلاة»[2] وذلک لغایة أنسه بذکر الله وعبادته لأجل معرفته وعلمه بثمرة العبودیة، وهي غایة الربوبیّة ﴿**فاعبد ربّک حتّی یأتیک الیقین**﴾،[3] فالله ـ سبحانه ـ کان محرّکه وداعیه، ومربیّه وراعیه، لا شيء آخر دنیوي أو أخروي.

ولهذا سمّاه «یتیماً» في قوله: ﴿**ألم یجدک یتیماً فآوی**﴾[4] أي في جنّة القدس وجوارالله و قربه، و إلیه أشیر بقوله ﷺ: «أنا وکافل الیتیم کهاتین في الجنة»[5] وجمع بین السبابة والوسطی، و إلّا فهذا العالم منزل الأنعام والدواب، وهذه الدنیا جیفة وطالبها کلاب فکیف یکون مأوی أشرف خلق الله، و إنّما الدنیا کمنزل راکب وفيء زائل «وهذه دار من لا دار له»، وفي الحدیث عنه ﷺ: «ما مثلي ومثل الدنیا، إلّا کراکب قال في ظلّ شجرة، ثمّ راح وترکها».[6] وإنّما جاء رسول الله ﷺ إلی هذا العالم لهدایة الخلق ونجاتهم ﴿**قد جائکم من الله نور وکتاب مبین**﴾،[7] ﴿**وما أرسلناک إلّا رحمة للعالمین**﴾.[8]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

١. المزمّل (٧٣): ١.
٢. مفتاح الفلاح، ص ١٤١؛ إعانة الطالبین، ج ١، ص ٢١١.
٣. الحجر (١٥): ٩٩.
۴. الضحی (٩٣): ۶.
۵. مسند أحمد، ج ۵، ص ٣٣٣؛ صحیح البخاري، ج ۶، ص ١٧٨؛ سنن الترمذي، ج ٣، ص ٢١۵؛ بحار الأنوار، ج ٣۵، ص ١١٧، ح ۵٨.
۶. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٧۶، کتاب الزهد، باب مثل الدنیا؛ مسند الشهاب لابن سلامة، ج ٢، ص ٢٩٠، ح ١٣٨٣.
٧. المائدة (۵): ١۵.
٨. الأنبیاء (٢١): ١٠٧.

ذكر تنبيهيّ

بل نقول محرّك جميع الموجودات هو الباري ـ جلّ ذكره ـ بعشقه الساري في جميع الذرّات، ولكن بعضها بتوسّط بعض لقوله ـ تعالى ـ : ﴿**إنّ ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثمّ استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً**﴾ إلى قوله : ﴿**ربّ العالمين**﴾ .[1]

واعلم أنّ العالم كلّه كشخص واحد رقّاص على اختلاف أوضاعه، وفنون حركات أعضائه، بعضها بالسرعة وبعضها بالبطؤ، وبعضها بالإيماء اليسير، وبعضها بالسكون، فيرقص ظاهره ويهتزّ باطنه فنوناً من الرقص والاهتزاز بحسب الحركة الطبيعيّة والنفسيّة والعقليّة لدواعي مختلفة وأغراض متفاوتة متفاضلة في الدنّو والعلوّ، تقرّباً إلى مبادي مختلفة في العلوّ والشرف والجمال حتّى ينتهي إلى الغاية الأخيرة الإلٰهيّة للمبدأ الأوّل الفعّال، البريء بالكليّة من النقص والزوال في الموضوع القابل المحمّدي ـ عليه وآله أفضل الصلوات وأكمل الرحمات ـ فالصلوات والرحمات بمنزلة الصور المترادفة على موضوع الحركة التي قيل في تعريفها : « إنّها كمال أوّل لما هو بالقوّة من حيث هو بالقوّة » .

وقس عليها حال الغاية والفاعل والقابل، فتحقّق بقول من قال : « إنّ من زعم أنّ محمّداً رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية » .[2]

إزاحة شكّ

وإذا تحقّقت بما ذكر زال عنك إشكال التناقض بوجه آخر بين قول النبيّ ﷺ : «نور إنّي أراه» وبين قول أمير المؤمنين عليه السلام : «رأيته فعبدته لم أعبد ربّاً لم أره»،[3] وكذا التخالف بين ظاهري كلامين نقلاً عنه ﷺ في باب الرؤية، **أحدهما** : قوله لبعض أزواجه : «ما رأيت ربّي على انيّته وحقيقته»، والآخر قوله عليه السلام لابن عباس : «إنّي رأيته على صورة التّمثيل»، ومن أبواب التّمثيل قوله ﷺ : « أوّل ما خلق الله نوري »، وقوله : «من رآني فقد رأى الحقّ» .[4]

---

١ . الأعراف(٧) : ٥٤ .

٢ . صحيح مسلم، ج١، ص١١٠ ؛ فتح الباري، ج٨، ص٤٦٨ ؛ تمهيدات، ص٣٠٢ .

٣ . قريب منه في الكافي، ج١، ص٩٨، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ؛ تفسير الصافي، ج٢، ص٢٣٦ ؛ جامع السعادات، ج١، ص١٢٨ .

٤ . صحيح البخاري، ج٨، ص٧٢ ؛ مجمع الزوائد للهيثمي، ج٧، ص١٨١ ؛ بحارالأنوار، ج٥٨، ص٢٣٥ ؛ الجامع الصغير، ج١، ص١٣٢

وبما قرّرنا بيانه وأحكمنا بنيانه آنفاً، ظهر صدق قول أساطين الحكماء: «إنّ القائل و الحاكم بأنّ الله موجود هو نحو من البرهان الشبيه باللّم، لا العقل».

ويؤيّده قوله ﷺ: «تفكّروا في آلاء الله، ولا تتفكّروا في ذات الله»؛[1] لأنّ الفكرة لا يتسلّط على باري الكلّ، ﴿**ولا يحيطون به علماً * وعنت الوجوه للحيّ القيّوم**﴾،[2] فذاته ـ تعالى ـ ممّا يستحيل لأحد الا كتناه والإحاطة به، وليس لأحد فيها قدم ـ أي مقام ـ ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾[3] فلا يرى ذاته إلّا ذاته.

وفي الأدعية النبويّة: «بك أحيي وبك أموت».[4]

ومن هذا ظهر قول ذى النون المصرى: «رأيت ربيّ بربيّ، ولولا ربيّ لما قدرت على رؤية ربيّ»،[5] وقول أبي الحسين المنصور: «ما رأى أحد ربيّ سوى ربيّ».[6]

ختم و وصيّة

إنّي قد أشرت لک ـ يا حبيبي ـ في هذه الفصول إلى كنوز الحقائق ورموز الدقائق، فاعلم قدرها وتعمّق في غورها، وصنها عن النفوس الشقيّة الجاهلة بحقائق الإيمان، الكافرة بأنعم الله؛ لأنّهم أعداء الحكمة ورفضة العرفان، وأحباء الهوى والشيطان.

واعلم أنّ تصوير الحقائق في صورة الألفاظ وكسوة العبارات والاستعارات ليس إلّا كجرعة من دنّ، لا بل كقطرة من بحر لجيّ، أو كشعاع من شمس، وإنّما أثبت لک هذه المعاني، فثبّت بذورها في أرض قلبک وإن كانت فوق رتبتک لأمرين: أحدهما ما ورد: «إنّ شرّ الناس من أكل وحده».[7] والآخر: رجائي بظهور من يعرف قدر هذه المعارف من أولادي الروحانيين، وبروز من يتجرّد عن غشاوة هذه الأقران السوء وآرائهم الخبيثة من أهل القرابة المعنويّة، فعليک وعليهم بذوق معاني هذه الكلمات بنفوس زاكية، وأذهان نقيّة، وقلوب صافية، وأسماع واعية، «فخير القلوب أصفاها، وخير الأسماع أصفاها وأوعاها». قال الله

---

١. راجع الكافي، ج١، ص٩٢، باب المنهي عن الكلام في الكيفيّة.
٢. طه(٢٠): ١١١ـ١١٠.
٣. الأنعام(٦): ١٠٣.
٤. تمهيدات، ص٣٢٠ و٣٢١.
٥. نفس المصدر، ص٣٠٦.
٦. نفس المصدر و الصفحة و فيه: «ما رأى ربيّ أحد سوى ربّي».
٧. بحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٤٧، باب ذم الأكل وحده، طبع بيروت.

ـ تعالى ـ : ﴿لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير﴾[1] ولابدّ بعدها أيضاً من الزهد في الدنيا، وتركها لبنيها وأهاليها.

واعلم أنّ من ركن إلى الدنيا ومال إليها أحرقه الله بناره، فصار رماداً تذروه الرياح، و كان على كلّ شيء مقتدراً. وهذه صفة أرباب الملك وأصحاب الدنيا. ومن ركن إلى العقبى ومال إليها أحرقه الله بناره، فصار ذهباً خالصاً ينتفع به، وهذه صفة أهل الآخرة وأرباب الملكوت وأصحاب الجنّة. ومن ركن إلى الله ومال إليه أحرقه الله بنوره، فصار جوهراً فريداً لاقيمة له، ودرّة يتيمة لامثل لها في الدنيا والآخرة، وهذه صفة أهل الله وأحبائه و أوليائه.

وقد أشرنا لک إلى أنّ العوالم والنشئات ثلاثة: عالم الحسّ والدنيا، وعالم الغيب و العقبى، وعالم القدس والمأوى. والمسافرون ثلاثة أصناف: صنف يسافر في الدنياورأس ماله المتاع والثروة، وربحه المعصية والندامة، وصنف يسافر في الآخرة ورأس ماله العبادة، وربحه الجنّة، وصنف يسافر إلى الله ـ تعالى ـ ورأس ماله المعرفة، وربحه لقاء الله ـ تعالى.

واعلم أنّ المعرفة أصل كلّ سعادة، والجهل أسّ كلّ شقاوة، فإنّ سعادة كلّ نشأة وعالم هو الشعور بمافيه، حتّى أنّ الدنيا ومافيها مع حقارتها وقلّتها وبطلانها إنّما ينال اللذّة فيها من كان أبلغ في الحواسّ، وأقوى في المشاعر الحيوانيّة، فإنّ كلّ لذّة هو نيل ملائم لشيءمن حيث هو ملائم له، والألم فقده أو نيل ما يضادّه.

فإذا كانت البهجة واللذّة في هذه الدنيا الدنيّة منوطة بالمعرفة والشعور، فماظنّک بعالم الآخرة التي قوامها بالنيّات والمعارف، ثمّ ما ظنّک بعالم القدس الذي هو معدن العقول و منبع المعارف، فعليک بالحكمة والمعرفة.

وأمّا الزهد والتقوى وسائر العبادات والرياضات فإنّما هي كلّها لإعداد الحكمة ومقدّمة المعرفة وتصفية الباطن وتهذيب السرّ وتصقيل مرآة القلب عن الغشاوة والرين حتّى تصير مجلوّة يحاذي بها شطر الحقّ ويترائى فيها وجه المطلوب. وأمّا نفس الصفاء والصقالة فلكونها أمراً عدميّاً ليست مقصودة بالأصالة، بل لأجل مايظهر بهاأو يتصوّر فيها من آيات الحقّ وجلايا وجهه على أنّ الزهد في الدنيا ـ على أيّ وجه كان ـ لاشيء محض، لكون الدنيا لاشيئاًمحضاً، والعاقل لايزهد في اللاشيء. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لو كانت

---

١. الملک (٦٧): ١٠.

الدنياتزن عندالله جناح بعوضة، ماسقى كافراً منها شربة ماء». [1] وفي القرآن: ﴿**وما الحيوة الدنيا إلاّ متاع الغرور**﴾. [2]

ومدّة حياة الدنيا بالقياس إلى دوام الآخرة كلحظة، وسعة مكانها بالقياس إلى مكان الآخرة كذرّة ﴿**كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيةً أو ضحاها**﴾، [3] في الحديث عنه ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلّا مثل أحدكم غمس إصبعه في اليّم فلينظر بم يرجع» [4]

فترك هذا القليل واجب وليس بزهد في الحقيقة، وإنّما وراؤها عالم آخر بل عوالم أخرى إليها رجعى الطاهرات من النفوس ﴿**وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً**﴾. [5]

فمن أراد أن يعرف عظمة الله وعظمة أسمائه الحسنى ـ التي يكون عالم الآخرة ظلالها، وهذا العالم ظلال ظلالها ـ ويجد من رحمة الله نصيباً أكثر وحظاً أوفر، فليزهدعن الآخرة، وليزهد عن الزهد فيها أيضاً، حتّى يخوض لجّة الوصول، ويخلص عن نفسه وقلبه بالكليّة. وقيل: «الزهد في الدنيا يريح النفس [البدن. خ]، والزهد في الآخرة يريح القلب، والإقبال بالكليّة إلى اللّه يريح الروح». [6]

واعلم أنّ العوالم والنشئات الوجوديّة بمنزلة طبقات بعضها محيطة ببعض، والسالك إذا صعد من عالم وولج في عالم آخر، كان كأنّه مات من الأو ل وتولّد في الثاني. قال عيسى عليه السلام: «لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرّتين». [7]

ومن هاهنا يعلم أنّ الكوكب ـ وهو صورة الطبع والحس التي هي أوّل النشئات الحيوانيّة ـ والقمر ـ وهو صورة النفس التي هي أوّل درجات الإنسان السالك ـ والشمس ـ وهي صورة العقل التي هي آخر منازل عالم الإمكان ـ إشارة إلى صور العوالم الثلاثة، كان السالك في أوّل سلوكه في واحد منها بحسب رغبة النفس وهواها، ثمّ مات عنه اختياراً ودخل في الثانى،

---

١. جاء قريب منه في بحارالأنوار، ج١٦، ص٢٨٤، باب ٩، ح١٣٣؛ تحف العقول، ص٤٠؛ عوالي اللئالي، ج٤، ص٨١، ح٨٥؛ الجامع الصغير، ج٢، ص١٣١ و٣٩٨.

٢. آل عمران(٣): ١٨٥.

٣. النازعات(٧٩): ٤٦.

٤. وفي المصادر: «ما مثل الدنيا في الآخرة، إلّا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع». سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣٧٦؛ مسند أحمد، ج٤، ص٢٢٩.

٥. الاسراء(١٧): ٢١.

٦. تمهيدات، ص٣١٣.

٧. تفسير آلوسى، ج١، ص٣٦٢.

ثمّ ماتت رغبته عنه ودخل في ملكوت السماوات لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ ،[1] ثمّ ماتت رغبته عن الكلّ بقوله : ﴿ **لا أحبّ الآفلين** ﴾ ،[2] و فنى عن نفسه بربّه ووجّه وجه ذاته لفاطر سماوات العقول وأرض النفوس ، حنيفاً عن آثام الوجود والهويّة ، مسلماً حقيقيّاً موحّداً له ـ تعالى ـ من غير إشراك لغيره ، وإن كان هويّة السالك وهواه التي مازالت هي المعبود أصالة في كلّ عبادة ومحبّة لغير الله ، كما دلّ عليه قوله : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه** ﴾ ،[3] فصار الحقّ عند ذلك الفاعل و الغاية له في كلّ فعل وسعي وحركة وانعزل مبادي حركاته من القوى المدركة ـ كالسمع و البصر ـ والمحرّكة كاليد والرجل ، سواء كانت داعيّةً أو فاعلةً .

فله حينئذ أن يقول : ﴿ **إنّ صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين** ﴾ ،[4] وله أن يقول : «من رآني فقد رأى الحقّ» ،[5] حيث صار الحقّ سمعه وبصره ويده ورجله ـ كما في الحديث المشهور ـ لظهور الحقّ في مرآة قلبه .

وإليه الإشارة في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ربّنا أتمم لنا نورنا** ﴾ ،[6] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ ،[7] وفي الأدعية النبويّة :

«اللهم أعطني نوراً في قلبي ، ونوراً في سمعي ، ونوراً في بصري ، ونوراً في مخّي ، ونوراً في دمي» ـ حتّى قال : ـ «ونوراً في شعري ونوراً في عظامي ، ونوراً في قبري» .

وفيها أيضاً : «يا نور النور ويا مدبّر الأمور ، ويا عالماً بما في الصدور» .[8]

وذلك نور وجهه وذاته ، فاعل جميع الموجودات ، ونور ما في الأرض والسماوات ومنتهى كلّ الخيرات وغاية ارتقاء الموجودات ﴿ **وأنّ إلى ربّك المنتهى * وأنّه هو أضحك وأبكى * وأنّه هو أمات وأحيا * وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأنّ عليه النشأة**

پرتال جامع علوم انسانی

١ . الأنعام(٦) : ٧٥ .
٢ . الأنعام(٦) : ٧٦ .
٣ . الفرقان(٢٥) : ٤٣ .
٤ . الأنعام(٦) : ١٦٢ .
٥ . بحارالأنوار ، ج٥٨ ، ص٢٣٥ ، طبع بيروت ؛ صحيح البخاري ، ج٨ ، ص٧٢ ، باب التعبير ؛ الجامع الصغير ، ج١ ، ص ١٣٢ و ج٢ ، ص٦٠٣ .
٦ . التحريم(٦٦) : ٨ .
٧ . التحريم(٦٦) : ٨ .
٨ . جاء قريب منه في صحيح البخاري ، ج٨ ، ص٨٦ ، كتاب الدعوات ، باب ٩ ؛ و راجع أيضاً المعجم(نور)ج٧ ، ص٢٠ .

الأخرى﴾ ،[1] وبه يـؤمن كـلّ مؤمن **﴿شهدالله أنّه لاإله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** .[2]

ومن أسمائه «المؤمن المهيمن» ، فإنّ المـؤمن إذا قطع النظر عن هويّته وإيمانه وعرفانه وآثر المعروف وبقي بلاهو وعلم أنّ لاهو إلّاهو ، فيتبدّل إيمانه بعيانه ، وخرج هو من البين ، و فنى في العين وبقي ملك الـوجود اليوم لله الـواحد القهّار ، فشهد ذاته على ذاته بالأحـدّيّة المطلقة ، والفردانيّة المحضة **﴿لا إله إلاّ هو﴾** ، وشهد أيضاً ذاته بلسان الملائكة وأولى العلم قائماً بالقسط والعدل ، وهو إحقاق الحقّ من بقاء وجهـه ، وفناء الوجوه الإمكانيّة . وهذا هو الإيمان الحقيقي المأمور به في قوله ـ عزّ اسمه ـ : **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا﴾** ،[3] وإليه الإشارة بقوله : **﴿من يؤمن بالله يهد قلبه﴾** .[4]

وبهذا الإيمان يحسم مادّة الشرك الخفيّ عن القلب : **﴿لئن أشركت ليحبطنّ عملك﴾** ،[5] وهذا الخفيّ من الشرك قلّ من الناس من نجى منه وصفى قلبه عنه **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّاوهم مشركون﴾** .[6] فأنت يا أخي مادمت معك فكيف يمكنك الصبر بالله وفي الله ومع الله؟ وإذا توكّلت عليه فهو حسبك ونعم الوكيل .

واعلم أنّ طلّاب الحقّ طلبوا الحقّ بالحقّ فوجدوه ، وطلّاب الهوى طلبواالهوى بالهوى فلم يجدوها ولن يجدوها أبداً ، فماذا بعد الحقّ إلّا الظلال ؟ فإن لم تسمع هذا الكلام منّي ولم تصدّق بفحواه فاسمع وتدبّر فيما روي عن النبيّ ﷺ من قوله : « إنّ المؤمن أخذ دينه عن الله ، وإنّ المنافق نصب رأيه واتّخذ دينه منه » .[7] وقوله : **﴿أفرأيت من اتّخذ إلٰهه هواه﴾** ،[8] وقوله ـ سبحانه ـ : **﴿كونوا ربّانيّين﴾** .[9]

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١ . النجم (٥٣) : ٤٢ـ٤٧ .
٢ . آل عمران (٣) : ١٨ .
٣ . النساء (٤) : ١٣٦ .
٤ . التغابن (٦٤) : ١١ .
٥ . الزمر (٣٩) : ٦٥ .
٦ . يوسف (١٢) : ١٠٦ .
٧ . تمهيدات ، ص٣١٩ ؛ و جاء في المصادر الأخرى «...إنّ المؤمن أخذ دينه عن ربّه و لم يأخذه عن رأيه» . [ر . ك : الأمالي للصدوق ، ص٤٣٢ ؛ معاني الأخبار ، ص١٨٥ ، باب معنى نسبة الإسلام ؛ روضة الواعظين ، ص٤٣ ؛ وسائل الشيعة ، ج٢٧ ، باب عدم جواز القضاء و الحكم بالرأي ، والاجتهاد و المقاييس و نحوها من الاستنباطات الظنيّة في نفس الأحكام الشرعيّة]
٨ . القصص (٢٨) : ٥٠ .
٩ . آل عمران (٣) : ٧٩ .

والحقّ أنّ المؤمنين بالحقيقة والمتّقين العابدين المخلصين لله ولرسوله ولأولى الأمر هم الحكماء الربّانيّون، الراغبون عن الدنيا، وغيرهم عبيد الهوى، وعبّاد الأصنام، وأولياء الطواغيت وصور الأجسام، وأصحاب القبور وسكّان عالم الدثور ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**﴾[1] أعاذنا الله وإخواننا أينما كانوا من الاغترار بالصور الباطلة، وظواهر الآثار، والركون إلى مراتب أهل الحجاب ومنازل الأشرار، والتستّر بستر التقليد، وغشاوة الامتراء، والشكّ والانحراف عن المحجّة البيضاء.

هذا آخر ماقصدنا إبرازه، وحاولنا إظهاره. كتبه مؤلّفه الجاني، محمّد بن إبراهيم، المعروف بالصدر الشيرازي، حامداً مصلّياً مستغفراً في شهر ربيع الثاني لسنة ألف وثلاثين.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١. الشعراء(٢٦): ٢٢٧.